الفصل العاشر

الديانة

«ماذا تظن أن بإمكاننا افتراض أهمية الدين وقيمته إذا أردنا معرفة تلك الأهمية من وحوش؟ أرجوك أن تفكر يا سيدي فقط بحالتنا الحاضرة، إذ إننا نعلم أن ديننا هو في الكتاب المقدس. إذ إن لدينا فريقاً من الرجال كان واجبهم هو تعليم الدين ولدينا يوم واحد في الأسبوع مخصص للشؤون الدينية وقد روعي هذا الأمر بشكل جيد. ومع ذلك إن تسأل أول عشرة رجال تقابلهم وعندها سوف تسمع ما يستطيعون قوله حول دينهم».

بوزويل – حياة جونسون ٢٩ نيسان عام ١٧٧٦.

ومع أن البابليين أو الآشوريين لم يكونوا وحوشاً ولا بأي شكل، إلا أنه يجدر بالمرء الذي يرغب بدراسة دينهم أن يتدبر في عقله إنذار الدكتور جونسون. ولهذا فعلى المرء منذ البداية أن يقرر فيما إذا كانت دراسة الدين كما يمارس من قبل الرجل العادي هو وعائلته من الذين يسكنون في أكواخ من طين. أم هل على المرء أن يدرس الدين من الشؤون الكهنوتية التي رسمها الكهنة. وهنا نجد خطين من المقاربة ممكنين. إذ يمكن للفاحص والمستقصي أن يحاول وصف مجمع الآلهة والعقائد والمعتقدات المرافقة للدين، أو أن يحاول أن يصف التجربة الداخلية والنظرة الشاملة بالنسبة لأي شخص قد كرَّس نفسه للدين ويقع مجال الاختيار ما بين وصف الإشارة الخارجية والمنظورة التي يمكن ممارستها بثقة لا بأس بها ومحاولة التقاط وميض تلك النعمة الإلهية الروحانية المحاطة بإمكانيات عريضة من سوء الفهم.

لم تكن محاولة معرفة الدين البابلي معدومة أبداً نظراً لأن بعض تفاصيله قد احتفظ به الكتاب الكلاسيكيون في العهد القديم. ومن هذه المصادر فحسب لقد

بقي لدينا ما يكفي لإجراء بعض التوكيدات. ومن الواضح تماماً أن الدين البابلي اعتمد على تعدّد الآلهة مع وجود مظاهر مرافقة لطقوس الخصب متمثلة بشكل قوي. وبالإضافة إلى ذلك فإن المصادر الكلاسيكية تضخم هذه المعلومات وذلك بإيراد بعض التفاصيل حول نشأة الكون بالنسبة للبابليين أي نظريات تختص بخلق الكون والناس وكذلك الآلهة نفسها. وتأتي المادة الرئيسية للنوع الأخير من نُتف من العمل الذي كتبه بيروسوس اليوناني وكان عبارة عن كاهن بابلي عاش حوالي ٣٤٠-٢٧٥ق.م وإن عمل بيروسوس هذا ليس موجوداً الآن ولكن اقتُبست مقاطع منه من بعض المؤلفين القدماء الآخرين.

إن هذه التفاصيل القليلة والمشوّهة قد جرى تضخيمها وتوضيحها من قبل تلك الكميات الكبيرة من الألواح المسمارية ذات الأهمية الدينية التي خرجت إلى النور منذ منتصف القرن الماضي وهذه المواد تشتمل على الملاحم والخرافات والترانيم والصلوات ومقالات أخلاقية وأمثال وتنبؤات وتوجيهات طقوسية وقوائم بأسماء الآلهة وهلمَّ جرا. وحتى أن وجود إيصال تجاري عادي من الممكن أن يلقي الضوء على الطقوس عندما يشير إلى بعض المسائل مثل تسليم الحيوانات للذبح كتقاديم طقوسية وحتى قوائم الأسماء الشخصية لها أهميتها بالنسبة لدراسة الأديان حيث من الممكن أن نعلم الآلهة التي لها شعبيتها في فترة تاريخية معينة أو أمكنة معينة، وتختلف هذه الوثائق بالنسبة لمقدرتنا على فهمها. وأما بالنسبة إلى اللغة فقد كانت إما الأكادية أو السومرية أو كليهما. وعلى العموم فقد كانت بعض النصوص الحثية أو الحورية تلقي الضوء على نص الممارسات الدينية داخل منطقة ما بين النهرين. وهناك نصوص في جميع تلك اللغات لم نستطع فهمها. إذ إن كثيراً من الكتاب الذين كانوا يعتقدون أن الديانة هناك تتفق مع بعض النماذج، استطاعوا استعمال نصوص من الأنواع المذكورة كدليل ظاهر لإثبات بعض النظريات المشكوك في صحتها. ويمكننا أن نذكر أن الكتب التي تبحث في الأديان في منطقة الشرق الأدنى لا تزال تعدل بعض التفاصيل عن موت مردوخ ورجوعه إلى الحياة في أعياد السنة الجديدة في بابل، رغم الحقيقة التي مفادها أن أحد العلماء

المتميزين وهو فون سودين Von Soden من مونستر Monster قد أظهر أن تفسير هذا النص المؤسس على ترجمة قديمة من الصعب الدفاع عنه.

وعند مناقشة الأديان العظيمة الوحدانية، فإن الباحث لديه فائدة كونه قادراً على البدء من تاريخ دقيق محكم. وليس هذا ممكناً بالنسبة للأديان التي لم يتطرق إليها الإصلاح حيث تصل لنا بعض التغيرات في المعتقد وتعديلات الممارسات بشكل تطورات تدريجية من نظام له جذوره في عصور ما قبل التاريخ، وهذا يصدق على ديانات بابل وآشور بحيث أنه قد حدثت تساؤلات فيما إذا كانت تلك الأديان لها علاقة بالسامية قطعاً. فقد أنكر بعض الثقات أن هذه الأديان هي أديان سامية بحيث قرروا أن تلك الأديان هي من أصول آسيوية ولكنها مزيّنة وملوّنة ببعض المظاهر السامية، ولكن الرأي السائد هو أنه مع وجود أصول سومرية إلا أن المفاهيم الدينية كانت مشابهة للمفاهيم العبرية قبل زمن موسى بالنسبة للكنعانيين وللعرب قبل محمد، وهكذا فمن الممكن اعتبارها سامية وتصبح القضية ذات بعض الأهمية عند دراسة الديانة في العهد القديم نظراً لميول بعض العلماء الإسكندنافيين وبعض العلماء البريطانيين والألمان بأن يروا نماذج في أديان شعوب الشرق الأدنى لها علاقة بالملكية وأعياد السنة الجديدة، وطقوس الإخصاب وليس من الصعب أن نرى بعض النصوص والمفاهيم في ترانيم العهد القديم المشابهة للترانيم البابلية وهكذا نستنتج أن ترانيم العهد القديم ربما كانت مأخوذة ومشابهة لمثيلاتها في الدين البابلي الذي نعتبره سامياً قد أقحم في الطقوس السومرية، فالتشابه مابين الأشكال البابلية والعبرية ليس من الضروري أن يكون تشابهاً بالاستعمال وهذا إنذار وليس محاولة لبناء نظرية جديدة أو هدم هذه النظرية.

ومع أنه قد وجدت منذ زمن أقدم السجلات المكتوبة في مجتمع إلهي متطوّر سوف نناقشه فيما بعد، إلا أن الديانة السومرية البابلية كانت روحانية. فقد رأى الرجل العادي نفسه محاطاً بقوى كان يعتبرها إما آلهة أو شياطين وكان هناك شيطان هائج قد أظهر نفسه بشكل عواصف رملية تكتسح الصحراء، وإن الإنسان الذي يخالف هذا الشيطان سوف تصيبه مصائب مؤلمة. أما النار فكانت أحد الآلهة

والنهر كان إلهاً، وفي إحدى المواحي طُلب من شخص أن يقفز فوق الماء فإذا غرق وأمسك به الماء فإنه مذنب. وكان الضوء الساطع الذي يظهر فوق الجبال قبيل شروق الشمس هو انبعاث رجال العقرب الذين يحرسون الشمس عندما تصعد إلى السماء، وكان هناك جيش من الشياطين مستعدين للإمساك بأي رجل أو أية امرأة في ظروف خاصة، مثلاً في الأماكن الموحشة أو أثناء الأكل أو الشراب أو أثناء النوم وبصورة خاصة أثناء الولادة. ولم تكن الآلهة نفسها محصنة ضد الشياطين وهجماتها ولقد اعتبر خسوف القمر هجوماً من قبل الشياطين على إله القمر (سن) وانهزام ذلك الإله أمام هجمات الشياطين. وهناك إحدى الخرافات تذكر ما يلي:

(لقد اقتحمت الآلهة الشريرة السبعة طريقها إلى كبد السماء ولقد تجمعوا وهم غافون حول هلال إله القمر وهكذا أصبح مظلماً ليلاً ونهاراً ولم يجلس في مجلس حكمه. ولكن الإله إنليل رأى تعتيم البطل (سن) القمر في السماء وقد نادى الإله إنليل وزيره نوسكو وهو إله النار وقال: (أيها الوزير نوسكو، اذهب إلى الهوة تحت الأرض واذكر للإله (إيا) ما حدث لابني سن الذي خبا نوره وأصبح مظلماً في السماء ولقد سمع إيا هذه الرسالة فعض على شفتيه وملأ فمه بالنواح ثم دعا ابنه مردوخ وأصدر له أوامره قائلاً: اذهب يا ولدي مردوخ..).

تشير هذه الأسطورة إلى مقدمة أحد الطقوس المخصصة لزمن الخسوف بقصد حماية الملك ومن خلاله حماية بلاده من الآلهة السبعة الشريرة الذين وبعد انتصارهم المؤقت على سن انقضوا فوق البلاد كعاصفة وهاجموا البلاد.

وبالنسبة إلى الحماية ضد الشياطين أو للخلاص في حالة التعرض للهجوم كان للبابليين عزاء في أشكال دينهم الرسمي أو الشعبي ولكن في عدة أشكال مثلاً كان الواحد يلبس حجاباً أو ورقة (كما يظهر في اللوحة ٥٦ب) ولم تهزأ الآلهة العظمى بمثل هذه الوسائل نظراً لأن مردوخ استعمل مثل هذه الوسائل في قتاله مع الوحش تيمات. «**لقد أمسك مردوخ بين شفتيه بقطعة من الصلصال الأحمر وأمسك بيده النبات المضاد للسموم**» وكان شكل الحجاب أو الرقية يحمل صورة للشيطان

الذي كان الإنسان يبغي الحماية منه وتتلى أدعية سحرية تحث الآلهة على القيام ضد ذلك الشر المهدّد ونقرأ عن هذه الأعمال ما يلي:

دعاء: «إن ذلك الشخص الذي اقترب من بيتي يخيفني ويوقظني من نومي ويمزّقني ويجعلني أرى الكوابيس التي أتوسل إلى الإله باين Bine حارس العالم السفلي أن يقوم نينوترا أمير العالم السفلي وبأمر من مردوخ الذي يعيش في إيجيليا Eagelia ونايل دعوا الأبواب والمتاريس تعلم أنني تحت حماية السيدين الإلهين».

إن أحد أشكال التعاويذ أو الحجب كان يُلبس كحماية ضد المنغصات المرعبة أو حتى خطر الرياح الغربية الحارة التي تجلب العواصف الرملية في الصيف من الصحراء. وكان شكل التعويذة ينحصر في رسم رأس الشيطان محفوراً في إطار حجري أو برونزي وأحياناً يمثل الشيطان بالكامل (انظر اللوحة ٥٧أ) ويظهر صدره الذي يشبه الطائر وهو يحمل العاصفة ويظهر ذنبه الأعوج وأجنحته الأربعة وهناك قد كتب ما يلي:

دعاء: إنني أنا الإله (بازوزو) ابن الإله هابني ملك شياطين الريح الشريرة إنني أنا الذي يثور بقوة في الجبال (في العالم السفلي) بحيث ترتفع تلك الرياح وبالنسبة إلى تلك الرياح التي ترافقها فإن الرياح الغربية تقف في المقدمة ولكن أجنحة هذه الرياح قد كسرت.

وهنا نلاحظ أن الدعاء الأخير هو الصيغة السحرية التي عندما يلفظها المرء تصبح الشياطين عديمة القوة.

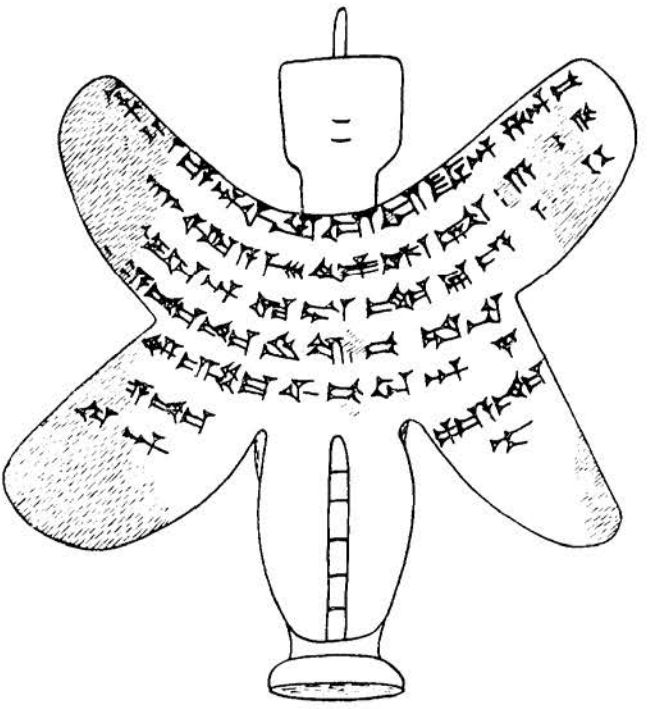

نقش تعويذة بازوزو

فلا يستطيعون إيذاء حاملها ولقد استعمل هذا الحجاب لحماية النساء أثناء الولادة وهو يشبه حجاب لاماشتو الذي كان مختصاً بذلك المخلوق الذي هدد النساء أثناء الولادة والنساء المرضعات. وإن أكثر الأمثلة شهرة يحمل على أحد وجهيه أربعة تسجيلات كان الأدنى والأبرز صورة وحش له رأس أسد وجسم امرأة وهذا الوحش الذي يركب أتاناً كانت مبحرة وقارب يجري على النهر وكانت ترفع حيوانين وهذه تمثل لاماشتو نفسها، التي كانت وعن طريق بعض الوسائل السحرية قد أرسلت على الطريق (انظر اللوحة ٥٤ب) وبالإضافة لمثل هذه الحجب أو التعاويذ وجدت سلسلة كاملة من الطقوس التي كانت تستخدم ضد الكائن المخيف عندما يظهر على أحدهم بعض أعراض الإصابة بعرض شيطاني كانوا يستدعون الساحر لتشخيص المرض ولطرد الكائن الشرير: وكان هذا يتم بتلاوة الدعاء ومع أجزاء الطقوس المناسبة بعد التوسل إلى الإله الذي كان هو (مردوخ ابن إيا) وهو إله السحر

ومن الممكن لأي من الآلهة أن يساعد البشر ضد الشياطين، ولم تكن جميع الآلهة قادرة على مساعدة البشرية المتألمة وكان اثنان من الآلهة بعيدين بحيث لم يستطيعا مساعدة البشرية أما الثالث وهو إيا فقد كان موثوقاً به وصديقاً صدوقاً للإنسان وكان مستعداً للمساعدة في أوقات الشدة وهو مستعد دائماً لإيقاف غضب إنليل أو شرور الشياطين وهذا الإله وهو إله المياه وإله الحكمة كان هو القوة العليا ضد السحر وقد نقل معارفه إلى ابنه مردوخ، وهذا الإجراء العادي كان يتبعه رجاء رجل واقع في محنة وهو يتوسل إلى الإله مردوخ من خلال أحد الكهنة طالباً المساعدة في محنته. ويقال إن مردوخ ذهب إلى والده إيا وكرر أمامه المشكلة المذكورة وبعدها استلم الجواب التالي:

يا بُني ما هو الشي الذي لا تعرفه...؟

وتبع ذلك نصيحة حول الإجراءات السحرية بالنسبة للقضية المذكورة وكما سوف نرى فإن النار كانت القوة العظمى ضد السحر والنفوذ الشرير وكانت الآلهة التي تمتلك القوة ضد السحر هي ثلاثة وهم من آلهة النار: غيرا Gira وجبيل Gibil ونوسكي Nuski وكان هؤلاء الثلاثة يناشدون للعمل ضد الشياطين أو الساحرات بالطريقة التالية:

دعاء: أيها الإله المتوهج غيرا ابن أنو البطل أنت أشد إخوانك شراسة أنت الذي تحكم بالعدل مثل الإله سن وشمش، أرجوك أن تحكم في قضيتي وقرر شيئاً لمساعدتي، احرق الساحر والساحرة، يا غيرا اسحق الساحر والساحرة احرقهم، اربطهم يا غيرا اقضِ عليهم آه يا غيرا اطردهم خارجاً.

وكان الكهنة المختصون بالخلاص من الشر والقوى السحرية أو الشياطين هم الذين ينجزون الأدعية المناسبة والطقوس وكانوا يستخدمون الأدعية والطقوس لشفاء المرض إما لوحدهم أو بمساعدة بعض تقنيات الجراحة أو الطب. وكان المزج ما بين السحر والإجراءات العملية يظهر في النص التالي الذي يقدم شيئاً لمعالجة وجع الأسنان:

وبعد أن خلق أنو السموات، خلقت السموات الأرض، وخلقت الأرض الأنهار، وخلقت الأنهار القنوات، وخلقت القنوات الطين، وخلق الطين الديدان، وقد أتت الديدان وهي تبكي أمام الإله إيا وقالت ماذا ستعطيني من الطعام؟ فأجاب إيا: لسوف أعطيك التين الناضج فقالت الدودة: ماذا يفيدني التين الناضج؟ دعني أشرب ما بين الأسنان وضعني فوق اللثة بحيث أستطيع أن استهلك دماء الأسنان وأتلف لب اللثة. فقال الإله: ((نظراً لأنك قلت هذا أيتها الدودة، أتمنى من إيا أن يضربك بقبضة يده...)) وينتهي النص بالنصيحة بتحضير غسول الفم مؤلف من البيرة والزيت وبعض أنواع الأعشاب. وكانت تقنيات الكهنة تحضر في إجراءات ذات قيمة عملية زهيدة مثلاً استعمال السحر وهاك توضيحاً لتلك العمليات:

لقد وضعت كل ذلك الرجل لعنة الشر وكأنه الشيطان
وبعد ذلك يذكر الأعراض.
لقد أصيب بالسكون المشوب بالدوخة.
سكون غير صحي، لعنة شريرة، تعويذة، صداع
لقد غادره إلهه وانسحب من عنده
ولقد وقفت جانباً على الحياد آلهته التي كانت تعتني به
ولقد اعتراه سكون غريب مصحوب بالدوخان وكأنه قطعة من رداء

ويقول النص إنه وبعد ذلك لاحظ مردوخ هذا الرجل فذهب مردوخ إلى والده إيا ولخص له القضية، وعندها قدم إيا المشهور بحكمته وحصافته، قدم لمردوخ تعليماته بشأن الفلاح:

اذهب يا ولدي مردوخ
خذه إلى بيت الطهارة النقي
خفف وقع التعويذة عنه، خفف وقع التعويذة عنه
وذلك الشر المستطير في جسمه
وسواء كانت اللعنة الموجهة لوالده أو لوالديه
أو لعنة أخيه الأكبر أو لعنة قتل إنسان، فهو لا يعرف

وبعد مناشدة إيا

دعوا اللعنة تنتشر كما تنتشر البصلة

ودعوها تنزع بقوة مثل هذه التمرة

ودعوها تُلف مثل هذا الفتيل

وهناك عدة أدعية لكل من الأشياء المذكورة (البصل، التمر والفتيل) وأحياناً بالنسبة لبعض الأشياء التي لم تذكر (لفائف من الصوف أو شعر الماعز) وكان الكاهن يقوم بعدة أعمال رمزية للتصرف ضد اللعنة الشريرة،

دعاء: مثل هذه البصلة التي سوف أقشرها وأرميها في النار، والنار سوف تلتهمها كلياً، والتي جذورها سوف لا تستقر في التربة وأغصانها سوف لا تمتد، وهي سوف لا تستعمل كوجبة طعام للإله أو الملك وهكذا فإن القسم واللعنة والمرض والإعياء، والذنوب، والخطايا، والشرور، وحنث اليمين، والمرض الذي يعتري جسمي ولحمي وأطرافي أدعو أن يذهب عني كما حصل لهذه البصلة وآمل أن تحرقها النار كلياً في هذا اليوم، أتمنى أن تزول هذه اللعنة حتى أستطيع أن أرى النور.

إن ذكر بيت الطهارة النقي يدل على أن الاحتفال المشار إليه إنما قد تمَّ داخل المعبد ولكن غالباً ما تتم مثل هذه الأمور في البيوت وليس في المعابد أو في غرفة التمريض أو في كوخ مصنوع من القصب بجانب النهر أو في أرض مفتوحة.

وهناك تقنية سحرية أخرى كانت مستخدمة وهي متميزة عن السحر الرحيم وهي الاستبدال وهناك مثال جيد مذكور في النص التالي من آشور وفيما يلي خلاصة لهذا السحر:

لعمل مبادلة رجل تطلبه آلهة الموت: عند غروب الشمس، يضع المريض خروفاً صغيراً يستلقي بجانبه على الفراش، وعند الفجر ينهض الكاهن وينحني احتراماً لإله الشمس. وبعد ذلك يحمل المريض الخروف في حضنه ويذهب إلى بيت يحتوي على شجرة (تمر حنة) وبعد ذلك يأمر الكاهن المريض والخروف أن يستلقيا جنباً

إلى جنب على الأرض وسوف يلمس الكاهن حنجرة الرجل المريض بواسطة خنجر برونزي وبعد ذلك يلبس الكاهن الخروف بعض الملابس ويلبسه حذاء ويضع غطاء على عينيه ويضع الزيت على رأسه ثم يخلع الكاهن عمامة الرجل المريض ويضعها على رأس الخروف وسوف يعامل الكاهن الخروف وكأنه رجل ميت. وبعدها سوف ينهض الرجل المريض ويقف على الباب بينما يكرر الكاهن بعض الأدعية ثلاث مرات، وبعد ذلك يخلع المريض ملابسه ويسلمها للكاهن ثم يخرج وبعد ذلك يصيح الكاهن في وجه المريض قائلاً: لقد مات فلان الفلاني، وبعد ذلك يصدر الكاهن الأمر بمغادرة الحداد... ثم يدفن الخروف.

تعود التعاويذ المقتبسة أعلاه في أبسط أنواعها إلى الأسرة الثالثة في أور (حوالي ٢١٠٠ق.م) مع أنه لم توجد مجموعات مثل هذه إلا في تاريخ متأخر عن هذا التاريخ وتعرف المجموعات الثلاث من هذا النوع وهي شوربو Shurbu وماغلو ويوتوكي (وهي الأرواح الشريرة) وإن اسمي الاثنين الأولين يعني عملية الحرق وهذا يدل على أن النار كانت تستخدم لطرد الأرواح الشريرة. مع أنه كان هناك عدة تقنيات متوفرة وخصوصاً بالنسبة للأرواح والأشباح. وكانت أدعية المالغو تستعمل لإبطال أعمال السحرة والساحرات وكانت تلازم السحر الأسود وكانت تُلفظ وتُقال بينما كانت التماثيل المصنوعة من الشمع أو الخشب أو البرونز الخاصة بالساحرة التي سببت حدوث الشر، كانت هذه التماثيل تُحرق بالنار، ومن جهة أخرى كانت طقوس الشوربو تستعمل كوسيلة للخلاص من الذنوب والتجاوزات الطقوسية أو خرق الممنوعات من الأمور التي كانت تُغضب الإله وتجلب المرض للجاني. وكانت هذه الطقوس تتم أمام بعض الأشياء ثم يُحرق هذا الشيء وكانت أدعية أوتوكي ڤيموتي تذكر للتخلص من بعض الأرواح الشريرة.

هذه الأنواع الثلاثة من الرقى والسحر لم تكن الوحيدة المستعملة والمعروفة وهناك نص يحتوي على نماذج واسعة من مثل هذه العناوين وكان الغرض منها يظهر في السطر الأول ونصه كما يلي: عناوين المسلسلات التي توصف لمعرفة ودراسة الرقى التي يستعملها الكهنوت والقوائم التالية: تحتوي بالإضافة إلى المواضيع

المذكورة، بعض المواد مثلاً الصداع، ووجع الأسنان، وبيت الطهارة، وتخفيف اللعنة، والشرور من جميع الأنواع، ووجع العين، وشفاء عضة الثعبان، وشفاء لسعة العقرب، الطقوس السحرية للبلدة والبيت والحقل والبستان والنهر، ولقد جمع مثل هذه الوصفات آشور بانيبال في مكتبته.

كانت جيوش الأرواح الشريرة التي هدّدت البابليين والآشوريين ذات أنواع عديدة، فهذه الشياطين وهم أولاد Anu آنو يعشعشون في الجبال في الغرب، وكان يشار إليهم غالباً باسم السبعة مع أنه كان هناك أكثر من سبعة. كان هناك لاماشو التي طالما أشير إليها وكانت روحاً شريرة هددت النساء حين الولادة وكانت تسرق الأطفال الرضع من صدور أمهاتهم. وكان هناك ناماتارو وهو شيطان الطاعون وهو رسول نبجرين إله العالم السفلي، وكانوا يخشونه كثيراً، ورابيسو الذي كان يترصد على الأبواب والزوايا المظلمة، ثم هناك ليتيتو Lititu الذي كان يزور الرجال وينغص عليهم نومهم بإجراء إشارات فاسقة وداعرة. وكان هناك بعض الوحوش التي لا وجوه لها وكانوا يمزقون الناس إرباً إرباً وكانوا يتجمعون حول فراش الرجل المريض إيذاناً بموته، وبالإضافة إلى هؤلاء كان هناك الأشباح الخاصة بالموتى من البشر أي أشباح الذين ماتوا بضربة سلاح حاد أو شبح قد مات بسبب ذنوبه ضد الإله أو الجريمة ضد الملك، كل هذه الأنواع من الأشباح كانت تتجول كالشخص الذي أهملته عائلته بسبب عدم احترامه للطقوس: **«هذا الشبح هو شبح منسي أو شبح لم يذكر اسمه أحد أو شبح ليس هناك من شخص يهتم بأمره»** لم تكن الأشباح لتزرع الرعب في قلوب الأشخاص فحسب، بل كانت تلك الأشباح تؤذي أولئك الذين تظهر تلك الأشباح أمامهم. ولمعالجة هذا الخطر، فقد أعِدّت لهم الأدعية والطقوس التي نذكر الآتية كأمثلة:

«لقد أعدّ الخبز غير الخمير المؤلف من عدة أصناف مع تلاوة الأدعية ثلاث مرات. أيها الرجل الميت لماذا تظهر أمامي أنت يا من أصبحت بلداتك الخرائب ومنازلك العظام. أما أنا، فأنا لا أذهب إلى الكوثاه Cuthah وهي مكان تجمع الأشباح، فلماذا أنت تلحقني؟ فلتلحقك لعنات الآلهة».

وعند غروب الشمس كان الخبز السحري الذي أعدّ بالطريقة المذكورة يؤخذ إلى ثقب حضر حديثاً ويصب بالإضافة إلى الطحين والماء في تلك الحفرة من خلال قرن ثور وبعد ذلك يوضع مشعل بجانب مبخرة موجودة قرب المكان. وبينما يتصاعد عامود البخور تجاه الشمس الغاربة تتلى أدعية أخرى تدعو إله الشمس للعمل على سحر الروح الشريرة وإبعادها. وبعد ذلك:

سواءً كانت روحاً شريرة أو شبحاً شريراً أو شبحاً مدفوناً أو غير مدفون أو شبحاً ليس له أخ أو أخت أو شبحاً ليس هناك من يتذكره أو يذكر اسمه أو شبحاً تنتمي عائلته إلى البدو الرُّحّل أو شبحاً قد تُرك في الصحراء...

وأخيراً وفي حالة كون الشبح قد سبّب المرض لأحدهم وهذا يخشى أن يرى الشبح، فإنهم كانوا يضعون تمثالاً من الشمع للرجل المريض يوضع في مقبرة العائلة مع تماثيل صلصالية للأشباح، وكان لهذا العمل غرضان الأول دفن الأشباح بوجود علامات الدفن والثاني غش الأشباح بجعلهم يعتقدون أن ضحيتهم قد مات فلا يعودون إليه.

وهناك علاج بديل يمكن تنفيذه بالشكل التالي، ولكنه يختلف عن الوصفة السابقة إذ يتطلب معرفة دقيقة بالشبح. وفي هذا العلاج تُعد قطعة من الأرض بشكل احتفالي وذلك بإجراء الطقوس والتغني بالابتهالات مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع يهيّأ تمثال صغير من الصلصال بشكل الشبح المجرم ويكتب اسم الشبح منقوشاً على الورك الأيسر ثم تلوى قدما الشبح ويُلقى به أرضاً ويوضع ناب كلب في فمه وذلك كرمز للتحدي. وتوضع منصة طقوسية ويصب ماء الإراقة إكراماً لإله الشمس شماش، وبعد ذلك تبدأ المجموعة بتلاوة ما يلي ثلاث مرات:

«استحلفك بالإله شماش أن تخرج من جسد (فلان) ارحل، اذهب».

ثم يضيفون ما يلي:

وهكذا سوف تعود وسوف تدفن ذلك التمثال في ثقب عند غروب الشمس وطالما ظل هذا التمثال فإن هذا الرجل سوف لا يرى الشبح الميت أبداً.

وقد استعملت تقنية مختلفة قليلاً عندما لا يكون الشيطان متمثلاً بالشبح الصلصالي، عندها يتصرفون بالشبح الصلصالي بطرق مختلفة وفيما يلي نورد مقتطفين مأخوذين من بعض الطقوس التي تعالج الشيطانة المخيفة لامانشو.

الطقوس: سوف تنظف الموقع وسوف تأخذ بعض الصلصال من الموقع ثم تصنع تمثالاً للامانشو ثم تضع هذا التمثال على رأس الرجل المريض ثم تملأ المبخرة بالرماد وتغرز خنجراً فيها وتضعها فوق رأس المريض لمدة ثلاثة أيام. وفي نهاية اليوم الثالث تضرب التمثال وتغرز الخنجر فيه وتدفنه في زاوية الجدار.

رقية أخرى لأجل لامانشو:

الطقوس:

تصنع تمثالاً لابنة آنو (لامانشو) من صلصال تستخرجه من خندق ثم تصنع الصلصال بشكل حمار وتقدم له العلف ثم تقدم له الإراقة من الخبز والبيرة وتذبح خنزيراً صغيراً وتضع قلبه في فم ابنة آنو ولمدة ثلاثة أيام وثلاث مرات يومياً تتلو الدعاء أمامها، وفي نهاية اليوم الثالث تأخذ التمثال إلى الأراضي المكشوفة.

وهناك أحد الطقوس لإزالة الروح الشريرة وذلك بحبسها في وعاء ثم نقل ذلك الوعاء. وهذا العمل يقدمه نص من النصوص وهو مترجم بالشكل التالي:

هذه رُقية تستهدف إخراج أحد الآلهة الجالس على صدر رجل والماسك بفمه بحيث لا يستطيع أن يأكل أو يشرب الماء. سوف يربطون ذكراً من الماعز على رأس فراشه ثم يقطعون عصا من البستان ويلفون خيوطاً ملوّثة على العصا ثم يملأون كأساً بالماء ثم يكسرون غُصْناً من البستان ويضعون العصا أو كأس الماء والغصن خارج بوابة المدينة.

ثم يأتي الحمالون ويحملون ذكر الماعز الكبير وكأس الماء والعصا والغصن إلى الأراضي البور خارج المدينة وسوف يأخذونهم جميعاً إلى أرضٍ ريفية ويفصلون العصا وكأس الماء بعضهما عن بعض ثم يحملون الغصن والماعز إلى الأرض الريفية الواقعة على الطريق العام ثم يذبحون ذكر الماعز ويأخذون أظلافه وجلده ويقطعون

رأسه وبعدها يطبخون اللحم ثم يملأون بعض الأواني البرونزية بالعسل والزيت ويجلبونها إلى هناك. ثم يلبّسون الغصن بجلد الماعز ويربطون القوائم الأمامية بالشرك ثم يحفرون حفرة ويصبون العسل والزيت فيها، وبعد ذلك يفصلون القوائم الأمامية ويضعونها في الحفرة (وبقية الطقوس مكسورة ولا يمكن قراءتها)، إلا أن النتيجة هي كما يلي:

إن ذلك الرجل المريض سوف يعيش وسوف يرحل الإله الرابض فوق صدره وعندها سوف يفتح فمه ويأكل الطعام ويشرب الشراب.

إن الشياطين الذين تسبب هجماتهم المرض من الممكن أن يكتفوا أو ينخدعوا بجلب بديل ويمكن للبديل أن يتخذ شكل حيوان أو قصبة بطول الرجل وهذه تجلب وتوضع بجانب المريض وهنا يفسر النص باقي الحفلة بما يلي:

إن شيطاناً شريراً لعيناً في جسد هذا الرجل وهي تغطي الرجل وكأنها رداء حالما يمشي وهي تمسك يديه وقدميه وتشل حركة أطرافه.

وبعدها يأتي إيا بشكل غامض وهو إله السحر وهنا نقدم نص الطقوس.

يعتبر الخروف الصغير بديلاً للإنسان فهو يقدم إنقاذاً لروحه ثم يقدم رأس الخروف فداء لرأس الرجل ورقبة الخروف فداءً لرقبة الرجل وصدر الخروف فداءً لصدر الرجل.

ويمكن أن نرى هذا النوع من المعتقدات وهو أن يُقدّم للشيطان بيت بديل من جسد الإنسان من الممكن أن نلمسه في العهد الجديد من الإنجيل في قصة خنزير غادارين إذ يقال إن هذه الحيوانات سيئة الحظ كانت تسكنها الشياطين التي طُردت من جسد أحد الرجال وطبقاً لرواية الإنجيل فإن الشياطين قد طردت هذه الضحية البشرية إلى الصحراء وهي منطقة محبوبة لدى الشياطين وكانوا يخافون أن يرسلوا إلى الهاوية. هذا وإن مفهوم الهاوية والكلمة ذاتها تعود إلى أبسو السومريين والأكاديين وهي مياه البحار العميقة هنا وإن فكرة تقديم بيت بديل للشيطان والمطرود قد ذكرت في الإنجيل في الأمثال:

عندما تخرج الروح النجسة من جسم الرجل فإنها تمر خلال أماكن لا ماء فيها وتبغي الاستراحة ولكن لا تجدها. وبعد ذلك تقول الروح: سوف أعود إلى بيتي من حيث خرجت وعندما تصل إلى البيت تجده فارغاً ومكنساً ومدهوناً وبعد ذلك تدخل الروح معها سبعة أرواح أخرى أشد شراً منها وعندها يدخلون ويسكنون هناك ولكن وضع الرجل المريض يتحوّل من سيئ إلى أسوأ.

ليس جميع الشياطين من مسببي الضرر للإنسانية إذ هناك بعض التضرعات تنتهي بما يلي:

دعوا يوتوكو الشرير وآلو الشرير يذهبان بعيداً.

ودعوا يوتوكو الصالح وأحد رجال الجن الصالحين يحضرون.

وكما نجد شياطين من نوع اليوتوكو السيئين هناك يوجد يوتوكو خيرين وهم ممثلون جيدون لبعض الأنواع البيتية مثل الشيدو واللاماسو وقد كان هذان الاثنان يقفان عند مدخل القصور الملكية الآشورية بشكل أسدين ضخمين مجنّحين (انظر لوحة رقم ٥٣) وثيران وكانت هذه تعتبر وقاية ضد الشر. وكانت البيوت الخاصة وغُرف النوم تحمى عن طريق بعض التماثيل الصغيرة الجاثمة على بوابة المنزل والمدفونة تحت عتبة المنزل ولقد اكتشف عدد كبير من هذه التماثيل. وفي أور مثلاً اكتشفت تماثيل صلصالية في صناديق من الطوب المشوي موضوعة تحت الأرض، إزاء الجدران وهذه الصناديق المجهّزة بأغطية كانت إحدى نهايتها مفتوحة تواجه وسط الغرفة التي كان من واجب التماثيل دراستها وحمايتها، وكانت هذه التماثيل المدهونة باللون الأسود والأحمر أنواعاً مختلفة، وقد كان هناك تماثيل بشرية تلبس ألبسة مؤلفة من قبعة مدببة ورداء طويل مزين بحراشف السمك. وكان هؤلاء رجالاً من السمك وهي مخلوقات مذكورة في الأساطير وكانت هناك تماثيل لها أجسام بشرية ورؤوس وأجنحة الطيور وبعضها كانت تمثل شخصاً ذا لحية طويلة ورداء طويل وكانت يداه مطويتين عبر صدره كما لو كان ممسكاً بشيء ما. ومع ذلك فقد كانت الأخرى ممثلة للمشروشو أو التنين الأحمر وهو مخلوق له جسم كلب ورأس أفعى وذنب طويل. وهناك تنين من نوع آخر يظهر في اللوحة رقم ٥٦أ.

إن الطلقوس التي كانت تصنع بموجبها مثل هذه التماثيل كانت تصنع وتوضع لحماية البيوت وقد وُجد الكثير منها. وهي تبدأ بتعداد المصائب التي يتعرض لها البيوت كما يلي. «وسواء كان هذا شبحاً شريراً أو روحاً شريرة أو نوعاً آخر من الأشباح الشريرة أو غولاً شريراً أو إلهاً شريراً أو لامانشو أو لابسو أو ليلو أو إحدى فتيات ليلو أو يد أحد الآلهة أو يد إحدى الإلهات أو الطاعون أو شيطان الطاعون أو الشيطان المسبب للحظ السيء أو الموت أو الحرارة أو الحمى أو القابل، مهما يكن ذلك من المخلوقات التي تسبب الضرر للإنسان في بيته». وبعد ذلك كانت تصدر التعليمات لتحضير التماثيل المصنوعة من الخشب لحماية البيت كما يلي:

سوف ترشون الماء المقدس وتنصبون منصة طقوسية وتقدمون الخرفان الصغيرة كتقاديم وتجلبون اللحم والشحم واللحم المشوي وتنثرون التمور والوجبات الرائعة وتقدمون مزيجاً من العسل والزبدة وتضعون المبخرة وبها الأخشاب ذات الرائحة الزكية وتصبون الخمور للإراحة. وتنظفون المبخرة والمشاعل وأواني المياه المقدسة، وتتكلمون هذا الكلام أمام شاماش:

الدعاء: أيها الشماش، أيها السيد العظيم القاضي العالي المقام ذلك الذي يشرف على جميع المناطق في السماء والأرض الواحد الذي يوجه الأحياء والأموات أنت الشجرة المقدسة الطرفاء الخشب النقي الصالح لصنع التماثيل الصغيرة التي سوف أضعها في بيت (فلان) وذلك لهزيمة الأرواح الشريرة أو الكائنات الشريرة لقد انحنيت أمامك، ولذا أرجو أن تكون جميع أعمالي مقبولة.

إن الإشارة إلى شجرة الطرفاء التي كانت تمثل إله الشمس أصبحت الآن تقطع بالطريقة الموافق عليها وهكذا يقال.

سوف تقول هذا وبعد ذلك يضرب شجرة الطرفاء بفأس من الذهب، ومنشار من الفضة ويقطع هذه الشجرة بأداة من الغولمو.

وبعد ذلك تصنع مجموعات من التماثيل من الخشب وكانت تُلبس ألبسة مناسبة وبعد ذلك ينشدون الأناشيد المناسبة وفي الصباح التالي وعند شروق الشمس كانت

التماثيل توضع مع المبخرة والمشعل والماء المقدس وسبع حبات من الفضة وسبع من الذهب وحجرين كريمين في حاوية تدعى كولاتو. وبعد ذلك تحدث الإراقة لإله الشمس وتتلى الأدعية: هولولو هولولو

وكانت تصنع مجموعات من التماثيل وهي مصنوعة في هذه المرة من الصلصال نظراً لأن الصلصال المشوي يدوم وقتاً طويلاً خصوصاً في الأرض الرطبة أكثر من الخشب المنحوت وإن هذا النوع من التماثيل هي التي وجدت في أور وفي أمكنة أخرى، وكانت كثير من هذه التماثيل الصلصالية تحمل فوقها صِيغاً سحرية كما تذكر النصوص وهكذا نجد ما يلي مكتوباً على التماثيل الصلصالية من هذا النوع وبشكل كلاب.

أوجّه هذا الكلام إلى الكلب المطلي بالجبص: لا تتوقف أيها الكلب لتفكر، افتح فمك، وأوجه الكلام التالي للكلب الآخر: لا تتوقف أيها الكلب لتفكر، ابدأ بالعض أوجه هذا الكلام للكلب الأسود: اقضِ على حياة خصمك، وأوجه ما يلي إلى الكلب الآخر ابدأ بالنباح. وأوجه هذا الكلام للكلب الأحمر: اطرد الشيطان الأساكو، وأوجه الكلام إلى الكلب الآخر: إنك من تقبض على الآخرين من الأعداء. إني أوجه هذا الكلام إلى الكلب الأخضر: إنك الذي يسبب هرب الأعداء. إني أوجه هذا الكلام إلى الكلب الآخر: إنك من تعض الأعداء. إني أوجه هذا الكلام إلى الكلب المرقط: إنك من تقدم الأناس الأتقياء والملحدين. إني أوجه هذا الكلام إلى الكلب الآخر: إنك من تطرد الأرواح الخبيثة.

وفي الطقوس المختصة بتنقية البيوت كانت تؤخذ جميع التماثيل الخشبية والصلصالية إلى ضفة النهر وتوضع بشكل تواجه به الشرق وهناك وعند شروق الشمس كانت تجري احتفالات أخرى وذبائح وأدعية وابتهالات إلى إله الشمس وبعدها ترجع التماثيل إلى البيت حيث تجري احتفالات وذبائح وابتهالات وهي موجهة في هذه المرة إلى مردوخ وللآلهة العظمى الثلاثة وإلى إله وإلهة البيت وإلى الروح الحامية (شيدو) للبيت وإلى ملكة العالم السفلي تحت لقب من ألقابها الكثيرة العدد. وبعدها كانت تنظف أرجاء البيت ابتداءً من الزوايا والأبواب والسقوف

ومنافذ الهواء وذلك بواسطة عدة مواد وكانت هذه المواد تخرج وتوضع على البوابة وهكذا فإن الروح الشريرة قد أخرجت وأصبحت التماثيل مسؤولة عن نظافة البيت من الأرواح الشريرة وكانت الضحايا تقدم الآن للتماثيل وتتلى الأدعية التي تخبرها بأن:

«إنه وبسبب وجود بعض الأشياء الشريرة التي تقف وتدعو لعمل الأعمال الشريرة في بيت فلان الفلاني وهو ابن فلان الفلاني، لقد جعلتكم تقفون على البوابة يميناً ويساراً لكي تطردوهم من البيت العائد لفلان الفلاني ابن فلان الفلاني وينبغي أن يبتعد أي شيء شرير من هذا المكان على مسافة ٣٦٠٠ ساعة مزدوجة».

وكانت عملية تنقية البيت طويلة ومعقدة ولاشك مكلفة ولكنها كانت فعالة ضد جميع أنواع القوى الشريرة لمدة غير محدودة من الزمن. وكانت الفترة الممنوحة للأمان هي سنة واحدة.

«لكي نقطع رجل الشر عن بيت هذا الرجل ينبغي أن تخرج العسل المستخرج من الجبال ببذور...» (هناك سبعة نباتات مذكورة بذورها) ثم تقسمها إلى ثلاثة أجزاء ثم تدفنها في عتبة البيت يميناً ويساراً وهكذا فإن المرض أو الصداع سوف لا يقترب من هذا البيت ولا من صاحبه مدة سنة واحدة لم تكن هذه الاحتياطات ضد الأرواح الشريرة كافية دائماً ولذلك فقد كانت تواجه بالسحر وشأنهم شأن بقية الشعوب فقد كان البابليون يعرفون السحر المفيد والسحر الأسود أيضاً.

وقد سمح القانون باستعمال السحر المفيد ابتداءً من عهد حمورابي (حوالي ١٨٠٠ق.م) ولم يسمح باستعمال السحر الأسود إذ إن الساحر كان يعاقب بعقوبة الإعدام وكانت التشريعات غير قادرة، على منع السحر الأسود ونتائجه المريعة. وهناك عدة نصوص تناولت التشخيص مثلاً:

لقد سببت الساحرة لي سحراً شريراً.
وقد جعلتني أتناول وآكل روحها غير الجيدة
وجعلتني أشرب شرابها لكي تنهي حياتي

ولقد غسلتني بالماء النجس لكي أصبح رجلاً ميتاً
ولقد دهنتني بزيتها الرديء بقصد خرابي
ولقد جعلتني أصاب بمرض خبيث مسبب عن لعنة من اللعنات
ولقد عيَّنتني وأدخلتني في مجال شبح رجل غريب يتجول هنا وهناك
وليس له أي قريب.

وكانت المعالجة تتلو التشخيص وهنا يبادر الإله أسار – لو – هي (مردوخ) لملاحظة حالة المريض ثم يذهب لمقابلة والده (أيا) إله الحكمة العظم ويقول له:

يا والدي أنت الذي خلقت البشرية بيديك
لقد حاولت الساحرة أن تمزّق حياة هذا الرجل

ثم إنه يكرر الحقائق التي ذكرها عن التشخيص وأخيراً يجيب (أيا) ويقدم تعليماته بالنسبة للعلاج: «اذهب يا ولدي مردوخ، قدم له شرابك المعيد للحياة ودعه يأكل نبات الحياة. دعه يدهن نفسه ويغتسل. دع رياح فمك تصل إلى الساحرة ودع السحر والسموم والأقذار تبتعد عنه عن طريق الأدعية النقية ودع اللعنة تمضي إلى البراري والقفار ودع شبح الغريب يختفي ودع الرجل يعيش وتصح أموره ويظل صحيح البنية إلى الأبد. ولسوف يمنع مردوخ كل الأذى الذي سببته الساحرة بقصد قتل هذا الرجل».

والحاجة التي تلزم لصانع المحرمات للسرية التامة فإنه من المنتظر أننا سوف نجد آثاراً قليلة لأنشطة هؤلاء وليس هناك من شك أن السحر المحرم كان منتشراً وكان الجميع يخافون منه. وهناك حالات سحرية نموذجية تظهر في المقطع التالي:

الأدعية: إن ساحرتي تجلس في ظل كومة من الطوب وهي جالسة لعمل السحر بالنسبة لي وتعمل صوراً لي وإني أرسل لك الهاشو Hashu والسمسم وسوف أبعثِر سمك وسأرجع كلماتك إلى فمك ولسوف يتوجه السحر الذي عملته إليك والصور التي عملتها سوف تطبق عليك والماء الذي سحبته سوف يستعمل ضدك ولسوف لا

تقترب أدعيتك مني ولسوف لا تصل كلماتك إلي وذلك طبقاً لأوامر أيا وشمش ومردوخ والأميرة بيليت إيلجي.

إن ما ذكر أعلاه هو جزء من النص المختص بأحد الطقوس حيث استطاع الموظف رد الشرور التي وجّهتها الساحرة ضده. وهناك نصوص مشابهة سابقة مع أن الوثائق الأصلية التي لها علاقة بممارسة السحر المحرم والسحر الأسود نادرة جداً ولا يعرف منها إلا القليل ومنها رسالة موجهة إلى أحد الآلهة يطلب الكاتب من الإله أن يقتل ويبيد الكاتب وجميع أفراد عائلته وأقربائه ويبدأ النص هكذا:

الدعاء: إن بإدا – آه – إيدينا يخاطب الإله العظيم نينوترا بقوله: يا نينوترا، أيها السيد العظيم مزق القلب، وأطفئ الحياة، واقتل الزوجة، والأولاد والأقارب والموالين، والاسم والبذرة والأنسال التي تخص باوا – آه – إيدينا.

وينتهي هذا بإيراد قسم عظيم أقسمه بادا – آه – إيدينا وأقاربه وقال إنه يتحمل النتائج والعقوبات، والذنب، والخطيئة والإخلال بقسمه.

لم تكن جميع المصائب التي تُصيب الإنسان نتيجة عمل السحر أو الشياطين. إذ إن المصائب التي كانت تصيب الإنسان إنما هي مسببة عن أعماله السيئة من تدنيس المحرمات، وهكذا كان المعروف أنه كان هناك بعض الأطعمة وبعض الأنشطة المحرّمة في أيام معينة، ونقرأ ما يلي:

في شهر تشرين:

اليوم الأول: ينبغي على الإنسان أن لا يأكل الثوم وإلا فسوف يلسعه عقرب ولا ينبغي أن يأكل البصل وإلا فإنه يصاب بالديزنطاريا.

اليوم الثاني: ينبغي أن لا يأكل الثوم وإلا فسوف يموت رجل مهم من عائلته. وينبغي أن لا يصعد إلى السقف وإلا فإن خادمته ليلو سوف تتزوجه.

اليوم الثالث: سوف لا يجامع أية امرأة وإلا فإن تلك المرأة سوف تحرمه من قواه الجنسية.

اليوم الرابع: سوف لا يعبر أي نهر وإلا فإن قواه الجنسية سوف تخبو وتضعف.

اليوم الخامس: سوف لا يأكل لحم الخنزير، وإلا فسوف تقدم دعوى في المحكمة ضده.

وهو سوف لا يأكل اللحم المطبوخ وإلا فإن الشيطان المعتدي سوف يضربه، وهو سوف لا يأكل لحم البعير وإلا فإن شيطان إيتوكو Etukku سوف يضع يديه عليه. وسوف لا ينحني لعمل في الحديقة وإلا فإن الإله شولاك Shulak سوف يضربه، ولذلك فإنه إذا أصيب الإنسان بالمرض أو الإزعاج فإنه ينبغي أن يراعي الأسباب الموجبة المذكورة. وهكذا نجد إحدى الأدعية بالنسبة إلى شخص مريض واقع في الخطر والإزعاج، هنا تذكر قائمة بذنوبه إذ يقال إنه قد فعل ما يلي:

«قد أكل ما هو محرم من قبل الإله أو الآلهة، وأنه قد فصل بين الأب وابنه، والابن وأبيه وفصل بين الأم وابنها والابنة وأمها وفصل بين الكنة وحماتها أو بين الحماة وكنتها وأنه قد فصل الأخ من أخيه والصديق عن صديقه».

أو أنه قد فشل في تأدية واجبه بالنسبة للأشياء التالية:

هو لم يحرر الأسير. ولم يطلق سراح الرجل المربوط، بل قال باحترام للأسير «ينبغي أن تبقى أسيراً وقال للرجل الذي ربط الأسير: اربطه جيداً».

ومن الممكن أن تكون الأمور على الشكل التالي:

لقد أساء معاملة الإله وأهمل شأن الآلهة وأهمل شؤون والده أو والدته، وأساء معاملة أخته الكبرى وأنه قد باع السلع بأوزان خفيفة واستلم البضائع بأوزان ثقيلة وكان يقول إن الشيء عنده وهو ليس عنده وقال إن الشيء ليس عنده وكان هذا الشيء عنده، وكان قد وضع حدوداً كاذبة ودخل بيت جاره ونام مع زوجة جاره وأراق دم جاره وفرّق جموع العشيرة المجمعة ووضع يديه على السحر والسرية.

وهناك ما بين الذنوب ما يمكن أن يكون:

قد أكل شيئاً ممنوعاً بالنسبة لمدينته، أو أنه قدم لمدينته بعض النبوءات الكاذبة أو أنه اضطجع في فراش رجل واقع تحت اللعنة أو أنه قد جلس في كرسي رجل كان تحت اللعنة أو أنه قد شرب من كاس رجل كان تحت اللعنة.

وكانت بعض الذنوب ذنوباً أخلاقية ولقد كان الفرق بين الذنوب الأخلاقية وكسر المحرمات غير معروف ولم يكن له أي معنى بالنسبة للآشوريين أو البابليين الذين كانوا يعتبرون أن واجباتهم الدينية ليست ذات طبيعة أخلاقية بل هي إطاعة رغبة الآلهة التي لا تردّ.

ومع أن قرارات الآلهة كانت ملزمة إلا أن الإنسانية لم تترك دون دلالات عن الإرادة الإلهية، فقد كانت نوايا الآلهة تنعكس في الحوادث على الأرض حتى وبالنسبة للحوادث التافهة جداً. ولقد رأى البابليون العالم ككل فإذا تبع حادث ما حادثاً آخر زمنياً فإن هناك بعض الأسباب وكانت أنواع الظواهر التي تنتج عنها التنبؤات غير محدودة، ولكن كان هناك ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

أولاً:- التنبؤات المستخدمة في بعض التقنيات الخاصة مثلاً التنبؤات الحاصلة من فحص الكبد.

ثانياً:- تلك التي تحدث من ظواهر اعتباطية مثلاً الأحلام، وحركات الحيوانات أو الولادات الغريبة الشكل.

ثالثاً:- علم التنجيم.

ومن الممكن استخلاص أقسام ثانوية من الأقسام المذكورة أعلاه.

لقد نوقشت قضية زمن وأصل التنبؤات وكان بعضها قديماً جداً، وهناك أمثلة عن تنبؤات ملوك وجدوا قبل الطوفان وكانت بعض التقنيات مألوفة في أوقات معينة وأمكنة معينة وهكذا فإن التنبؤات من أشكال الكبد كانت معروفة منذ الأزمنة البابلية القديمة. ولكن التنبؤات من الأحلام كانت معروفة في بابل وسوزة وكانت ذات شعبية في آشور خصوصاً زمن آشور بانيبال.

وكانت التنبؤات تقع في حالتين: التنبؤات التي تخص الملوك والموظفين الكبار والبلاد وتلك التي تخص الأشخاص العاديين، وكانت التنبؤات من أحوال الكبد والتنجيم تعود إلى الشؤون الشعبية العامة بينما كانت الأشكال الأخرى (مثلاً الأحلام والمقابلات العرضية وتحركات الحيوانات وهلم جرا) تعود إلى أشخاص معينين وكان للتنبؤات بالنسبة للرجل القديم استعمال خاص كالتنبؤ بالمصائب التي تؤلف إنذاراً. أما قضية التهرّب من القضاء والقدر فلم تكن تعني الإنسان القديم.

لم تعرف التنبؤات السومرية بعد. مع أن هناك بعض المراجع في الأدب السومري لاستعمال التنبؤات، أما التنبؤات الأكادية المعروفة فقد تدرجت ابتداءً من الفترة البابلية القديمة فصاعداً ولقد قدّر أن ٣٠٪ من عشرين ألف أو ثلاثين ألف لوح من مكتبة آشور بانيبال في نينوى قد عالجت أدب التنبؤات. ومن الممكن اقتباس بعض التنبؤات النموذجية. فالقائمة الأولى تحتوي على أمثلة مختارة من الآداب القديمة وابتداءً من السطر الأول نلاحظ:

إذا كانت المدينة مبنية على تلة فإن ذلك لن يكون خيراً بالنسبة للقاطنين في تلك المدينة. ويتبع ذلك ما يلي:

إذا كانت البلدة مبنية في مكان منخفض من الأرض فإن ذلك خير لقاطني تلك المدينة. وهناك تنبؤات أخرى تشمل:

إذا رؤي في البيت المالك القديم الميت فإن ابنه سوف يموت.

إذا رؤيت في البيت السيدة المالكة القديمة للبيت فإن زوجها المالك الجديد للبيت سوف يموت.

إذا رؤي النمل الأسود في أسس البناء فإن ذلك البيت سوف يتم بناؤه ولسوف يعيش صاحبه طويلاً. إذا رؤي النمل الأبيض فإن صاحب البيت سوف يموت.

إذا رؤي النمل الأخضر في أسس البيت فإن هذا البيت سوف لا يُبنى.

إذا رؤي النمل الأحمر في البيت فإن مالك البيت سوف يموت في غير أوانه.

وكانت التنبؤات أحياناً تأتي من السلوك العرضي لبعض المخلوقات الأخرى.

إذا صادف أن عض ثعبان معتدٍ رجلاً، فإن أوقاتاً عصيبة سوف تصيب خصم ذلك الرجل.

إذا مرَّ ثعبان من يمين رجل إلى يساره، فإن هذا الرجل سوف يصيبه حظ جيد ويصبح اسمه مشهوراً.

أما إذا مرَّ الثعبان من يسار الرجل إلى يمينه، فإن هذا الرجل سوف يصادف وقتاً عصبياً.

إذا ظهر ثعبان في مكان كان الرجل وزوجته يتكلمان فيه فإن الرجل وزوجته سوف يتطلقان.

إذا استمر الثعبان في الحركة داخل البيت فإن هذا البيت سوف يتهدم.

إذا قتل عقرب ثعباناً في بيت رجل فإن أبناء ذلك الرجل سوف يقتلونه وسوف يموت.

إذا قتل النمس ثعباناً في بيت أحدهم فإن هذا يعني وصول الشعير والفضة إلى البيت.

إذا سقط ثعبان من السقف وأصاب رجلاً وامرأته فإن هذين الزوجين سوف يطلقان.

إذا تحركت عقرب في فراش رجل فإن هذا الرجل سوف يصبح غنياً.

إذا وقف عقرب على رأس رجل مريض فإن هذا الرجل سوف يشفى من المرض.

إذا صادف أن داسَ رجل على سحلية وقتلها فإن هذا الرجل سوف ينتصر على أعدائه.

إذا كثر النمل على مدخل بيت كبير فإن المدينة سوف تسقط.

إذا حدثت معركة بين النمل فإن جيشاً عظيماً سوف ينهزم.

إذا وجد نمل ذو أجنحة سوداء في المدينة فإن المطر والطوفان سوف يسودان المدينة.

إذا وجد ثور وكان قرنه الأيسر بارزاً بشكل مستقيم وكان قرنه الأيمن متجهاً إلى اليمين فإن المواشي سوف تكثر في ذلك البيت.

إذا انهمرت الدموع من عيني أحد الثيران فإن شراً عظيماً سوف يصيب مالك البيت.

إذا ركب حمار رجلاً فإن ذلك الرجل سوف يباع دفعاً لديونه.

إذا وجد حمار له رأسان فإنه سوف يحصل تغيير في العرش.

إذا دخل حصان بيت رجل وعطس حمار أو رجل فإن مالك البيت سوف يموت وسوف تتناثر أمتعة البيت.

إذا صادف أن كان رجل نبيل راكباً عربة وسقط الرجل خلف العربة فإن الحكومة سوف تسائله حول ماضيه.

إذا ركض حصان ودخل منزل أحد النبلاء وكسر أحد الكراسي (البقية غير مفهومة).

إذا رأى رجل السحالي تتراوح وأمسك بها وقتل أحدها فإن الفضيحة سوف تصيب هذا الرجل وسوف يموت من الفضيحة.

إذا ظهر ثور أمام أحد البوابات الكبيرة فإن العدو سوف يخترق المدينة.

إذا صادف ثور بري قطيعاً من البقر وبدأ يرعى مع البقر يوماً فإن هذا نذير خير أما إذا انفصل الثور عن القطيع وذهب بعيداً فإن هذا لا يدل على الخير.

إذا ركض ثعلب في ساحة عامة فإن البلدة سوف تُدَمَّر.

إذا صادف أن بدأت الخنازير تصرُّ بأسنانها فإن المدينة سوف تتفرق شذر، مذر.

إذا ولدت خنزيرة ثلاثة خنازير وكانت رؤوسهم بيضاء وأذنابهم سوداء فإن مفروشات ذلك البيت سوف تُرهن من أجل الحصول على الفضة.

إذا حدث وبال كلب أسود أمام رجل (الكلمات الباقية مفقودة).

إذا اضطجع الإله على فراش أحدهم فإن إله ذلك الرجل غضبان.

إذا بال كلب أبيض على رجل فإن هذا الرجل سوف يصادف أوقاتاً عصيبة.

إذا ركب كلب كلباً آخر فإن المرأة سوف تمارس السحاق.

إذا حدث الطوفان في شهر نيسان وبدا النهر وكأنه مغطى بالدم فإن أمراضاً سوف تحدث في البلاد.

إذا كثر السمك في النهر فإن هذا يعني العيش المريح لأهالي تلك المنطقة.

إذا وجد بئر مفتوح في مكان ما وكان ماؤه أصفر فإن السمك والطيور سوف لا تضع البيوض في تلك البلاد.

إذا ظهر البيتومين في أحد الآبار فإن البلاد سوف تخرب.

إذا ظهر البترول في أحد الآبار فإن العدو سوف يقترب من تلك البلاد.

إذا أكل الصقر طيراً وهو على سطح بيت رجل فإن شخصاً ما سوف يموت.

وهناك نوع آخر من التنبؤات يعتبر تنبؤاً عرضياً. مثلاً إذا صلّى الرجل للإله وبعد ذلك قبل أي نداء عرضي يدعى إيجيرو Egirru واعتبر ذلك نبوءة شخصية فإن موثوقية النداء سوف تتأثر بالظروف التي أحاطت بوصول النداء إلى الرجل.

إذا أجاب النداء الرجل بكلمة نعم مرة واحدة فإن هذا يعني تلبية الرغبة.

أما إذا أجاب النداء بكلمة نعم مرتين فإن ذلك سوف يجلب؟

أما إذا أجاب النداء بكلمة نعم ثلاث مرات فإن هذا يعني أن الجواب بنعم مؤكّد تماماً.

وكذلك فإن قيمة النداء كانت تتأثر فيما إذا أتى من اليمين أم من اليسار أو من الأمام أو من الخلف وبشكل غير منطقي كانت قيمة النداء تعتبر إيجابية وكان من الممكن منع نتائج النبوءات السيئة وكانت قوائم النبوءات يتبعها وصفات مناسبة. مثلاً في حالة النمل:

إذا أردت تخفيف شرور النمل التي ترى في أنحاء المنزل بحيث لا تتناول شرورها الرجل أو بيته فعليك أن ترش قليلاً من الزيت فوق النمل وثقْبه ثم تضع في الثقب شيئاً من الجبس والقلى وتمزجها بماء من البئر أو من النهر ثم تضع بعض الغبار من القارب والصلصال من مروج النهر وبعض الغبار من البوابة الخارجية من المدينة ثم تضع البخور المحترق ومعه المر على العتبة وبذلك تخفف الشرور الآتية. لقد كان الكاهن يقوم بإتمام هذه الطقوس ويدعى ماشماشو وينبغي علينا أن نؤكد أن المقصد من هذا العمل ليس القضاء على النمل بل تجنب الشر الذي يجلبه حضور النمل.

ومع أن السحر قد لعب دوراً كبيراً في منطقة ما بين النهرين وحياة السكان فيها فإن من المغالطة أن نقول إن السحر كان يؤلف جواب البابليين على مصائب ومشاكل الحياة. وبالعكس فقد كانت الصلاة وهي الصلاة التي تعبر عن الخضوع التام للإله كانت وسيلة كان البابليون يبغون منها العزاء والعون. وقد كان البابلي نفسه لا يُميز أي فرق أساسي بين شكلي الاتصال مع العالم الروحاني لأنه كان يعطي الصيغة السحرية والصلوات نفس الاصطلاح وهو الدعاء. ومع ذلك فإن الفرق في المقاربة واضح لا يخفى على القارئ الحديث وأما الصلاة النموذجية فهي تبدأ هكذا:

الدعاء: يا سيدي القوي القدير والشهير وهو الذي يعلم كل شيء وهو الفاخر والمتجدد والتام وأول من أنشأه مردوخ ... أنت مستشار الآلهة والذي يجعل مراكز الطقوس والعبادة ثابتة والذي يجمع في نفسه جميع الطقوس.

وتستمر الصلاة في هذا النسق من الألقاب والمواقف وتنتهي بما يلي:

إنك تراقب جميع الرجال

وتقبل التوبة

وتهب الجميع الخلق الحسن

وتصلي لك البشرية

وبعدها يقدم المتعبد ظروفه الشخصية

أنا بالاسو وإن إلهي هو نابو وإلهتي هي تاشميتوم.

ونظراً لاندلاع الحريق في بيتي.

أخشى أن أقول إنني في ضيق واضطراب إنني في اضطراب عظيم.

هذا وإن الشر الذي يشير إليه ليس الضرر الذي سببه احتراق البيت والحريق نفسه بل المصائب التي سوف يسببها مثل هذا الحادث وهذا واضح من أن الصلوات التي كان يقوم بها الملك بالنيابة عن شعبه غالباً ما كانت تشير إلى شرور خسوف القمر. وهنا تستمر الصلاة:

إنني معرّض للسلب والنهب أو القتل ذلك العمل الذي يتوجب عليه عقاب عظيم.

إنني شخص تعب، ومشوش العقل وجسمه مريض جداً.

بحيث أن المحرمات والألم تقابلا عندي ولهذا فإني أنحني أمام عظمتك

ولقد سيطر علي المرض من جراء السحر والشعوذة وعمل الساحرات...

أيها السيد، الحكيم من بين الآلهة أتوسل إليك أن توفر لي الحياة بكلمة من فمك.

هذا وإن المفهوم العالي الوتيرة نسبياً للآلهة الذي تدل عليه صلاة من هذا النوع هو أمر لاشك فيه ومع ذلك فمن الواضح أن الكهنة الذين كانوا يمثلون مجرى الأحوال في الدين في منطقة ما بين النهرين، لم يلاحظ أي فرق أساسي ما بين السحر والصلاة نظراً لأننا نرى أن هناك وبعد نهاية الصلاة إلى إله القمر سن هذه التعليمات:

الطقوس: وفي الليل سوف يكنس السقف فوق (سن) ولسوف تُرشُّ المياه المقدسة وسوف نكوّم الحطب لعمل الركام المعد لإحراق الجثة وفوق الركام سوف تضع سبعة أرغفة من الخبز وسوف تقسم لحم الشاة دون خجل فتضع ثلاثة مكاييل

من الطحين الذي طحنه أحد الرجال ومكيالاً واحداً من الملح الذي سوف تحضره بالإضافة إلى ثلاث قناني من الصلصال المملوءة بالعسل والسمن والنبيذ والبيرة والماء وتكوّم هذه الأشياء فوق الركام ثم تصب ماء الإراقة وتقوم بأداء واجبات الطاعة وأما البقية فسوف ترميها في النهر.

وهناك مثال آخر بين الأمثلة الكثيرة التي من الممكن استنتاجها. هناك صلاة تتوسل مفهوماً نبيلاً حول العلاقة ما بين الإنسان والإله وهي الصلاة التالية الموجهة إلى إحدى الإلهات:

الدعاء:

أيتها البطلة العظيمة عشتار الإلهة الخالية من الدَّنس

أنت مشعل السماء والأرض والإشعاع المسلط على القائدات.

أنت سيدة السماء وأول مولودة للإله سن والإلهة نيغال

أنت الأخت التّوأم لـ ... البطل شمش (إله الشمس)

يا عشتار، أنت آنو (الإله الأعظم) أنت تحكمين السموات.

وبمساعدة إنليل أنت تنصحين الإنسانية.

أنت خالقة الطقوس لغسل اليد ...

وحيث تكون المحادثة فإنك شأنك شأن شمش سوف تبذلين الانتباه التام...

أنت تغيرين مصائر البشر وتجعلين الحوادث السيئة حوادث جيدة.

إنني أتوجه إليك بين الآلهة وذلك لأن الاسترحام يُقدم لك

إليك ومن بين جميع الآلهة لقد توجهت وأتوسل إليك

وذلك لأنه يقع أمامك الجني شيدو وخلفك لاماشو (وهو جني آخر)

وعلى يمينك تقع العدالة وإلى يسارك تقع الجودة

وقد ثبت فوق رأسك هناك السلام والعطف

وجانباك محاطان بالحياة والأخلاق.

كم من الجودة أن أصلي لك كم من البركة أن تستمعي لي

إن نظرتك هي الجمهور وإن ما تقولينه هو النور

اشفقي علي عشتار، دعيني أتمتع بالازدهار والسعادة

انظري إليّ نظرات المحبة والثقة واقبلي صلاتي وتضرعي

لقد تحمَّلت نيرك أتوسل إليك أن تهبيني الهدوء والسلام

لقد ابتغيت وجهك الساطع وأرجو أن يكون وجهي لامعاً

ولقد توجهت إلى ملكوتك ألا تهبين لي الحياة والعيش الآمن

ألا أستطيع أن أمتلك (شيدو) مناسباً كالذي أراه أمامك؟

ألا أستطيع أن أمتلك لاماشو كالذي يجري خلفك؟

ألا أستطيع أن أومن الازدهار الواقع عند يدك اليمنى

ألا أستطيع أن أمتلك المعطف الإلهي الواقع عند يدك اليسرى

أتوسل إليك أن تُطيلي أيام عمري، وتهبيني الحياة

دعيني أعيش، دعيني في صحة جيدة ودعيني أعلن ألوهيتك

ودعيني أصرف ما أرغب به وأتمناه

وفي نهاية الصلاة تأتي الخاتمة:

هذه الكلمات الموجهة إلى عشتار: وأما عشتار فسوف تضع مبخرة من خشب شجر العرعر وسوف تصب الإراقة وسوف تتلو الدعاء ثلاث مرات.

هذا وإن الترانيم والصلوات المذكورة تحمل اقتراحات الوحدانية المشوبة وهي عبارة عن الاعتقاد بإله واحد مع عدم إنكار وجود آلهة أخرى، وكذلك الوحدانية

الحقيقية ويظهر أن هناك ميولاً في الديانة البابلية الآشورية تظهر في النصوص أن هناك قولاً بأن الإله المعبود كان متمثلاً مع الآلهة الأخرى وهذا ما تظهره الترانيم الآتية:

إن عينيك يا سيدي هما إنليل ونينيل

وأما أتوم وأنتوم فهما شفتاك

وأما أسنانك فهي السبعة الذين تغلبوا على الشر

إن طلة وجنتك يا سيدي هي ظهور النجوم

وأما أذنك فهما إيا (إله الحكمة والفهم وديماكيند زوجته وهم أمراء الحكمة

أما عنقك فهي مردوخ قاضي السماء والأرض

إن هذه الميول للوحدانية المشوبة ينبغي أن نركز عليها على ضوء وجود الوحدانية التي ميّزت الديانة الآشورية البابلية وابتداءً من فترة الأسر الأولى هناك أربعة آلاف إله معروفين بأسمائهم وقد بقي مجتمع الآلهة موجوداً.

مجمع الآلهة

لقد بقي على رأس مجمع الآلهة خلال ثلاثة آلاف عام مضت على وجود الديانة السومرية الأكادية بقي الإله أنو (وهو الإله السومري آن An) عبارة عن شكل من أشكال الشخص الغامض ولكن صفاته الرئيسية كانت منحصرة بالقوة الملكية فقد كان جميع الحكام من البشر يستمدون شارات الحكم منه وكان يقع أمامه في السماء الصولجان ولباس الرأس الملكي وعصا الراعي، وكان الرمز الرئيسي الذي يُميَّز به هذا الإله هو القبعة ذات القرون، وبعد أن استبدلت الدول - المدن القديمة بالوحدات الوطنية ظهر هناك مَيْل لاستبدال آنو بالإله آشور الوطني وفي بابل استبداله بمردوخ واستبدلت الآلهة أنتوم بعشتار الإلهة الأم وإلهة الحب التي كانت تعرف في سومر باسم أنين Innin.

وإلى جانب آنو كان ابنه الجبار إينليل (أو إيلليل) ومعناه سيد الرياح وهو إله نيبور ومع أن اسمه كان مقترناً مع مدينة معيّنة إلا أنه كان إله سومر الوطني ليس عبارة عن إله محلي. وكان امتلاك جميع أراضي سومر من قبل حاكم أي من الدول - المدن يعتمد على اعترافه بإنليل، وهناك نص سومري يذكر ذلك الزمن عندما كان شوبور Shubur سومر وأكاد ومارتو وإنهم جميعاً كانوا يعيشون بسلام يسبحون بحمد إنليل وكما كان أنو هو ملك السموات فقد كان إنليل هو ملك الأرض وشأنه شأن آنو كان إنليل والد الآلهة أو ملك الآلهة وكان آنو وإنليل يعتبران زعيمي الآلهة وكان شهر نيسان مقدّساً لدى كلا الإلهين معاً، وكانت ألواح مصائر البشر تنمي إلى إنليل كانت مصائر البشر والآلهة تقرر في هذه الألواح ولكن وبعد أن نما الدين الوطني واستلم مردوخ بعض المظاهر المختصة بإنليل ومع أن إنليل بقي سيد الأرض إلا أنه كان يملك موقفاً متناقضاً تجاه الإنسانية، ويعود هجوم الطوفان على الأرض إلى مواقفه المتشددة بينما نرى في أسطورة أخرى أنه هو الذي خلق الوحش لابو لكي يخرب البشرية. وكانت زوجته نينيل عبارة عن ظل طفيف لإنليل وقد كانت تقارن بعشتار في واحد من مظاهرها.

وكان ثالث الآلهة العظام الذين كانوا على رأس مجمع الآلهة معروفاً بعدة أسماء منها اثنان وهما أنكي- سيد الكي (والكي تعني إما الأرض أو المنطقة الخاصة بالعالم السفلي والاسم الثاني هو إيا) إله بيت الماء وكان كلا الاسمين سومرياً، ومع أن الاسم ترياد كان يُطلق على الآلهة الثلاثة آنو وإنليل وأنكي كلهم معاً. وفي كثير من الحالات كان أنكي منفصلاً عن آنو وإنليل وأصبح مفهوم ترياد لم يعد موجوداً في الديانة السومرية في المرحلة الأولى حيث تنحصر معرفتنا. وكان أنكي – إيا هو إله الحكمة وأيضاً إله المياه وكان مقترنا بالطوفان وقد كان هو المعترف بوجوده بين الآلهة من الدرجة الأولى الذين كانوا يظهرون الحب والعطف على الجنس البشري. وعندما كان إنين يستعد لمواجهة أخطار النزول إلى العالم السفلي عندها وجهته تلك الآلهة وفي حالة عدم السماح لها بالعودة، فإن الإله أنكي هبَّ لمساعدتها. وكانت ايريدو وهي أقدم مدينة سومرية وهي المدينة التي كان الإله

أنكي حامياً لها وإن علاقة ايريدو مع إله الحكمة تعكس الحقيقة التي مفادها أن أول ظهور للثقافة السومرية قد حدث ولما كان إله الحكمة أيا يحمل اسم نين – إيفي – كو (سيد العين البراقة) وبنفس الوقت كان يدعى في مواقف أخرى: نو – دن – مور أي خالق البشرية. وكانت زوجته ننكي (وهي الاسم المؤنث لأنكي).

لم يكن علم الأساطير السومري الأكادي متماسكاً أو متساوياً بالنسبة للعلاقة الدقيقة للآلهة الثلاثة العظام ولكن وطبقاً للروايات المشهورة فقد كانت ملحمة الخلق وأصل آنو وأيا منسجمة في هذا النسق، فقد ولد الوحشان لاهمو ولاهوما من تزاوج اسبو وتايمات (المحيط) ومنهما نشأت عشتار وكيشار وهما يمثلان العالم العلوي والعالم السفلي بعد ذلك.

استقرت الأحوال وتتابعت السنوات

فكان آمو ولدهما وكان نِداً ومساوياً لأجداده

فقد جعله أشار وهو الولد البكر مشابهاً له تماماً.

وبعد ذلك أنجب آنو شبهاً له وهو نو – ديم – مود

وكلهم لهم آذان عريضة يسمعون بها جيداً وكلهم أشداء الفهم والقوة

وهم أقوى كثيراً من أنشار الذي كان سبباً في وجود والدهم

ولم يكن لهم شبيه بين الآلهة إخوته

ولم يحدد اللاهوتيون أصل إنليل وفي بعض النصوص يقال إنه ابن آنو مع أنه وفي أمكنة أخرى يُعتبر والد الآلهة، طبقاً للمعلومات اللاهوتية فإنه هو وآنو آخر سلسلة من الأجداد الذين كانوا يعدّون أزواجاً أزواجاً.

وهناك مجموعة أخرى من الآلهة لها علاقة بالشمس والقمر وكوكب الزهرة التي كانت أسماؤها السومرية والساميّة تتألف من أوتو أو شمش ونانا أوسن وأنين وأكتار.

ومن الآلهة المذكورة كان أعظمها إله القمر (سن) وهو المسيطر على الليل وعلى الشهر وعلى التقويم القمري وقد كانت هناك أنشطة مختصة بالإنسانية ومن الشائع وجود التراتيل والطقوس الموجهة (لسن) عند ظهور القمر والتنبؤات ذات العلاقة بمثل تلك الظاهرة وكان سن هو الابن (طبقاً لعدد من رجال اللاهوت) المنحدر من آنو أو إنليل، وكانت زوجته نِنْ غال السيدة العظيمة وكان شمش وعشتار أولادهما وكانت المدينة التي لنانا وسن علاقة بها هي مدينة (أور) بينما كانت حرّان مدينة إله القمر وكما كانت كلتا المدينتين لهما علاقة بإبراهيم فقد بُذلت محاولات لرؤية وكشف جذور الدين الذي كشف عنه إبراهيم من خلال العبادة الوحدانية المشوبة وهي عبادة إله واحد مع الاعتقاد بوجود آلهة أخرى. ولكن آخر ملك بابلي حاول إقامة إصلاح ظهرت عدم شعبيته وهو مؤسس على طقوس وضعت سن على رأس مجمع الآلهة وكان رمز سن هو الهلال الذي ترك تأثيره على الإسلام كما أن رمز الشمس وهو الصليب قد ترك تأثيره على المسيحية.

أوتو شماش وفي رحلته اليومية عبر السماء قد طرد الظلام وكان باستطاعته أن يرى أعمال البشر ولذلك اعتبر إله العدالة وكان هو الإله الذي ظهرت صورته على سلة حمورابي وهو يسلم الشرائع إلى حمورابي (انظر اللوحة ٢١ب) ولما كانت العصا والخاتم يمثلان إله العدالة شمس كان ذلك دلالة على الاستقامة والكمال أي الحق والعدالة وكان رمزه في بلاد آشور هو القرص المجتمع أما في بابل فكان رمزه النجمة ذات الأربعة أطراف مع أشعتها.

ولقد احتفظ أنين عشتار بمنزلة ذات أهمية عظمى في الديانة السومرية البابلية وخصوصاً بعد أن أصبح الساميون هم المسيطرون حيث أصبحت هذه الآلهة المؤنثة الوحيدة التي امتصّت شعبية جميع الإلهات الأخريات، بحيث إن كلمة عشتار

أصبحت تستعمل بمعنى آلهة وتصفها بعض النصوص الدينية السومرية بما يلي إنها ملكة.. وإنها سيدة البلاد

وفي أبسو اريدو استلمت السلطة التي تخولها أن تضع القرارات

وقد خولها تلك السلطة والدها أنكي

وقد وضع تحت تصرفها جميع رتب الكهنة الملكيين

ولقد سكنت مع آنو في المزار الكبير وصنعت لنفسها مسكناً

ومع إنليل هي تقرر مصائر البشر

وفي كل شهر عند بزوغ القمر الجديد ولكي تنظم الأمور الإلهية

يجتمع آلهة الأرض في سومر أمامها

وأنونا العظيم يوفر لها الاحترام

وسيدتي تقرر أحكام البلاد (سومر) أمامهم

وكما هو الحال مع السيدة مريم في الكنيسة الكاثوليكية فإن عشتار كانت تظهر في عدة صور محلية وهكذا نجد عشتار نينوى وعشتار أربيلا وعشتار بيت كتموري كلها تذكر معاً ولا يُعرف إلا القليل عن هذه الآلهة في آشور بالاسم الذي أطلق عليها وهو عشتار نينوى، إذ لم يكتشف أي طقس ديني في آشور مختص بها مع أنها تعد من الإلهات العظيمات ويقال إن سبب ذلك هو أن عبادتها في آشور كانت من الطقوس الغامضة فقد كانت عالية المقام خارج بلادها أي عند الحثيين والحوريين.

إن الصفتين المميزتين للإلهة أنين عشتار هما مظهرها كآلهة الحرب وآلهة الحب الجنسي. وبصفتها آلهة الحرب كانت عشتار تسير أمام الجيوش الآشورية وفي إحدى المناسبات الشهيرة بدت في حالة التجلي الإلهي أمام جميع رجال الجيش وكانت تظهر نفسها للبشر بشكل عام بشكل نجمة الصباح ونجمة المساء. وشأنها

شأن شمش كانت هي طفلة إله القمر سن وقد كانت هذه الآلهة تعبد في معظم الفترات التاريخية وفي معظم الأمكنة دون استثناء وكانت هذه الآلهة تمثل في الفنون وخصوصاً على الأختام الأسطوانية، وكان رمزها معروفاً باسم عمود البوابة ذو العلم الخفاق، وهذا كان يمثل حزمة من القصب تشكل عمود البوابة في أحد الأكواخ المصنوعة من القصب وتحت شكلها السامي بصفتها إحدى إلهات السماء كانت هذه الإلهة عشتار، تمثل بنجمة ذات ثمانية رؤوس. وكان هناك إله آخر هو دوموزي (تموز) وقد كان مرافقاً لإنين ولقد احتل هذا الإله منزلة عليا في الديانة الشعبية سوف نناقشها في الفصل التالي. وهناك إله آخر ذو علاقة مع شمش وعشتار وهو حدد إله الطقس وكان ظهوره يتم عن طريق البرق والرعد وكانت الصفات التي تمثل اسمه هي الرياح. وقد كان هناك إله الطقس يدعى أشكور وهو معروف لدى السومريين ولكن لم يكن له أهمية خاصة وكان اسم حدد الكلداني هو أدو Addu أو أدادو وهذا يمثل الاسم السامي الغربي وهو حدد. وبالنسبة للشعوب السامية الغربية الذين أسسوا ممالك ماري وبابل في بداية الألف الثاني ق.م كان هذا الإله من بين الآلهة من الدرجة الأولى.

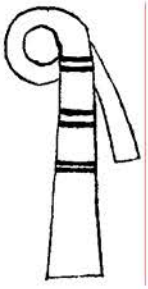

رمز عشتار

ويذكر حمورابي حدد في مسلته في المقدمة والخاتمة فضلاً عن نصوص الشريعة نفسها وهذه الإشارات لا تدع مجالاً للشك بالنسبة لأهمية هذا الإله نظراً لأن الشرائع تذكر النتائج القانونية فيما إذا عمل حدد على غمر أحد الحقول بالمياه أي إذا حصل طوفان في الحقل خلال عاصفة. بينما في خاتمة القوانين يوصف حدد بأنه سيد الوفرة والمسيطر على أبواب الطوفان في السماء والأرض. وفي آشور نفسها اعتبر حدد من أعظم الآلهة. ومن المنطقة الآشورية لقد بقي في مالتاي صخرة نقش عليها سطر يذكر الآلهة الآشورية ويُرى في مقدمتها آشور وقرينته ومن يتبعه مثلاً إنليل وسن وشمش وأداد

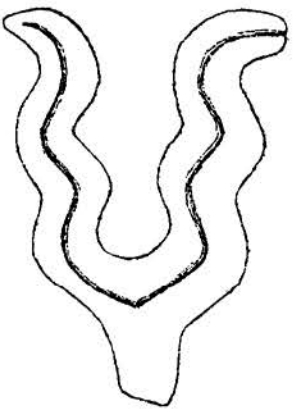

رمز أداد

وعشتار وفي هذا النقش النافر يتميز حدد بذكر رمزه وهو البرق ذو الشعب وفي الشكل الذي يظهر هنا هذا الرمز. وشأنه شأن يهوه فقد ركب حدد على الغيوم وكان الرعد هو صوته وكان حدد إلهاً مقاتلاً وفي إحدى الخرافات التي تصف الخسوف القمري يقال إنه شأن شماش قد انهزم أمام القوى المعادية.

وكان هناك إله آخر كان يحمل صفات إله العواصف وهو نينوترا وقد كان يرمز له برمز عددي إذ إن كل إله من الآلهة كان له رمز عدي طبقاً للنظام التالي: كان رقم آنو وهو رئيس مجمع الآلهة هو ستون وأما إنليل فرقمه ٥٠ وأيا ٤٠ وسن ٣٠ وشمش ٢٠ وعشتار ١٥ وأداد ١٠ وفي هذا النظام كان رقم ٥٠ لا يمثل إنليل فحسب بل أيضاً نينوترا، بينما كان معبد نين غيرسا في لاغاس يحمل اسم نينوى ومعناه بيت الخمسين.

وبصفته إله الحرب فإن نينوترا هو الذي منح الملك حمورابي السلاح الممتاز الذي سبب له النصر وكان هو بطل إنليل في بعض الخرافات، ولقد أحرز نينوترا بصفته المحارب العظيم وإله الصيد السيادة في الفترة الآشورية الوسطى وكانت طقوسه الدينية هي السائدة في كالخ، وكان نينوترا شأنه شأن نيرجال هو إله الصيد ومن الممتع القول إن مدينة كالخ القديمة التي كانت مدينة مقدسة بالنسبة إليه تعرف الآن باسم نمرود وهذا الاسم يمثل الصياد الجبار أمام الإله، وهو الشخصية الرئيسية في إحدى الخرافات التي تذكر كيف أنه وفي خلال حروبه ألقيت بعض الحجارة التي كان القصد منها إما مساعدته أو مناهضته وخصوصاً الصوان.

وكانت قرينة نينوترا هي غولا وكان اسم هذه الآلهة مقترناً مع الآلهة نيس – نيبرو (سيدة نيبرو) وهذا يُظهر الصلات الوثيقة ما بين نينوترا وإنليل في أن الأخير هو إله نيبور. كانت غولا نفسها هي آلهة الشفاء وكانت تمثل دائماً بمرافقة كلب وكان قرين نين غرسو هو باوا الذي يحرف اسمه إلى بابوا وبابا أوبوا.

وكان هناك إله قوي ومخيف وهو نيرغال وهو إله الجائحات والأمراض والعالم السفلي وهو الإله الحامي لكوثاه وتدعى مدينة كوثاه مجمع الأشباح. وبصفته الإله الحامي لكوثاه كان له قرينة من الإلهات تدعى لاز Laz، ولكن وبصفته سيد العالم السفلي كانت قرينته تدعى إيديش كيغال وهي الأخت الكبرى لأنين وتذكر إحدى الخرافات أن نيرغال أراد أن يصبح ملكاً للعالم السفلي فأقام الآلهة وليمة ونظراً لأن إيديش كيغال لم تستطع مغادرة العالم السفلي لحضور والاشتراك في الوليمة، ولذلك طلبوا منها أن ترسل رسالتها بتسليم حصتها، ولذلك أرسلت رسولها إلى المجمع أي مجمع الآلهة ولكن ظهر من هذا الرسول حالة من عدم الاحترام للإلهة فنقم عليه بقية الآلهة، ولكن أحد الآلهة وهو نيرغال لم يوافق على استهجان الآلهة لعمل الرسول لذلك أُمر بالنزول إلى العالم السفلي وربما كان ذلك لكي يكفّر عن ذنبه ولقد قدم له الإله أيا معلومات وأوامر مفصلة حول سلوكه وأنذره بأن لا يتناول أي طعام أو شراب وأن لا ينهار أمام إغراءات إيديش كيغال ولقد عمل نيرغال جهده أن يستجيب لتعليمات الإله أيا ولكن سحر غيديش كيغال كان شديد التأثير عليه وهكذا فقد اضطجع نيرغال في غرفة نوم ملكة العالم السفلي مدة ستة أيام وفي اليوم السابع اقنع إيديش كيغال أن تسمح له بالعودة مؤقتاً إلى العالم العلوي فسمحت له. وبعد أن ذهب نيرغال شعرت الملكة بالحنين له فقد كانت تريده كزوج لها وكذلك أرسلت رسولها ليطلب من نيرغال الرجوع. وقد رجع هذا وتوجه إلى إيديش كيغال وشدّ شعرها وأنزلها عن عرشها. ثم أن الزوجين اضطجعا معاً مدة ستة أيام وأخيراً أتت رسالة من الآلهة تسمح لنيرغال أن يبقى في العالم السفلي حيث بقي هناك وحكم وأصبح ملكاً.

ومع أن اسم ومفاهيم نيرغال ما هي إلا مفاهيم سومرية إلا أن هذه الخرافة تعكس حالة المجتمع السامي حيث إن سيادة الأنثى أمر غير مقبول (ولقد كانت هذه النفسية في الديانة السامية ظاهرة في أقوال القديس بولس والكنيسة الحديثة في كراهيتهم للنساء الكاهنات).

هناك آلهة أخرى أيضاً من الممكن تسميتهم ولكن معظمهم كانوا ذوي أهمية موضعية أو موسمية وهم يشبهون القديس في الكنيسة الكاثوليكية. ومن بين الآلهة الصغرى كانت آلهة النار وهم يستحقون الذكر نظراً لأنهم كانوا يناشدون في النصوص السحرية كونهم المناهضين للسحر والسحر الأسود في جيبيل وجير ولقد أظهر إله النار نفسه تحت اسم نوسكو إله النار، في نار الضحايا التي كانت تلتهم أجسام التقاديم وتطلق البخور للآلهة العظام، وكان رمزه في الفنون المصباح، مع أن هذا كان يحدث نادراً.

وفي الفترة المتأخرة أحرز الآلهة الوطنيون مردوخ في بابل وآشور في بلاد آشور موضعاً في مجمع الآلهة وبشكل مرموق. ففي العهد السومري كان لكل دولة - مدينة إلهها الخاص بها أو دعنا نقول إنه كان لكل إله مزرعة كانت تتخذ شكل دولة - مدينة أو قسماً من دولة - مدينة. ولم يكن هؤلاء الآلهة المحليون ذوي مكانة في مجمع الآلهة ولم يستطيعوا الوصول إلى أي مركز هام في مجمع الآلهة... وعلى العموم فإذا امتد نفوذ الدولة - المدينة بسبب الحروب والانتصارات، فإن المناطق التي احتلتها تظل تحت نفوذ الآلهة باستمرار. وقد كانت قيادة المجمع الإلهي، أي نظرياً السيطرة السياسية لبابل، منحصرة بالإلهين أنو وإنليل ونظراً لبُعد آنو فقد أصبحت القيادة بيد إنليل وهو إله نيبور. ومن وجهة النظر هذه كانت الأوضاع متناسقة مع النظرية القديمة التي مفادها أن بداية العملية التي ارتفع بواسطتها مردوخ البابلي إلى مكان الصدارة، وذلك بعد أن اكتسب حمورابي السلطة في نيبور ولكن ذكر أنه لم يكن هناك أية آثار تشير إلى محاولة حمورابي رفع قيمة مردوخ بحيث يصل إلى مرتبة آنو وإينليل. ومن الواضح أنه عندما منح حمورابي السلطة لإنليل أعطاه تلك السلطة بشكل حاكم وهي أعلى سلطة كانت لا تزال باقية بالنسبة لآنو وإنليل. وفي المقدمة أي مقدمة شرائع حمورابي نجد أن مردوخ كان تابعاً لآنو وإنليل بينما كان فرار مردوخ يُذكر بعد مزارات إنليل وأيا في نيبور وأريدو. وفي خاتمة الشرائع لا يدعى حمورابي أن له أية علاقة مع مردوخ فيما وراء تلك العلاقات التي يتمتع بها بالنسبة للآلهة الأخرى. بينما نرى في النقوش النافرة في أعلى المسلة أن

حمورابي يتلقى العصا والخاتم وهما رمزا العدالة من شمش وليس من مردوخ وفوق ذلك فإنه وفي النقوش الخاصة بالبنايات نجد أن مردوخ يقف وراء إنليل ونينوترا وشمش أو وراء آنو وإنليل وشمش كما أن نقوش البنايات زمن خلفاء حمورابي وحتى نهاية الأسرة تظهر الصورة ولا يعطي كل هذا أية شهادة على رفع مرتبة مردوخ في تلك الفترة. وفي أثناء الأسرة الأولى كانت لكل سنة سمات خاصة تدعى الصيغة السنوية وهي تشير إلى أحد الأعمال التي نُفّذت في تلك السنة مثلاً إقامة تمثال أو ترميم معبد وعندها كانت هذه الصيغة تحتوي على اسم أحد الآلهة. ويحتل مردوخ المرتبة الأولى في زمن الخليفة الثالث لحمورابي وهو أمي ديتانا Ami Ditana ولكن يبدو أن هذا العلو لمردوخ لم يكن ذا أهمية قصوى وذلك لأن هذا لم يستمر أثناء حكم الملك التالي ويبدو أنه رغم التفوق السياسي لبابل إلا أن حمورابي وخلفاءه لم يستطيعوا رفع قيمة مردوخ (حتى ولو أرادوا ذلك) ولذلك فإن ارتفاع قيمة مردوخ ليصل إلى السيادة حتى بداية القرون المظلمة بعد سقوط أسرة حمورابي إنما يظهر بعد ذلك. وفي شكله السومري أصبح مردوخ مظهراً من مظاهر إله الشمس. ويعتبر بعضهم أنه كان أصلاً متّصلاً بالمدينة السومرية العظيمة إيريدو حيث كان مردوخ هو ابن إله هذه المدينة. وبالتأكيد فإن اسم إيساغيلا بيت الرأس العالي المقام قد استعمل ليعني بناء المعبد العظيم المقدس بالنسبة إلى مردوخ في بابل، إنما كان قد استعمل في إيريدو وذلك كما نعلم من إحدى الخرافات المتعلقة بالتكوين. ونتيجة لذلك أصبح مردوخ إلهاً من آلهة السحر. ولكنه كان عملياً كان إله السحر العظيم مع أنه ظل أقل مقاماً من والده وكانت الطقوس السحرية تحتوي دائماً عبارة تشير إلى مردوخ وهو يطلب من والده أيا الهداية والإرشاد بالنسبة للإجراءات السحرية المطلوبة.

وفي زمن التنقيح النهائي للإينوما إيليش فقد أصبح مردوخ زعيم مجمع الآلهة في بابل ولكن كان الاعتقاد السائد أن الإينوما إيليش في شكله الحاضر يعود تاريخه إلى الفترة البابلية القديمة ولكن الصعوبة الناشئة عن قبول مردوخ إلهاً متسلطاً في هذه الفترة إنما تؤلف اعتراضاً له وزنه على هذه الحقيقة بينما تعتبر

الأسس التي اتبعت لوضع أصول الشكل الحاضر للإينوما إيليش في تلك الفترة إنما هي أسس واهية ولهذا فإن الأسطورة توضح الظروف التي رفع فيها مردوخ إلى مقام الصدارة. فقد كان مردوخ قد خُلق في الأبسو النقي وقد أنجبه والده أيا والذي ولدته والدته دامكينا وكان شكله غامضاً وكان له أربع عيون وعندما تتحرك شفتاه كانت النار تخرج لامعة، لقد طهرها الإله أمام أنشار الإله العظيم وعرض خدماته للقضاء على الوحش الفظيع تيامات:

يا سيد الآلهة، والقضاء والقدر بالنسبة للآلهة العظام

إذا كنت ترضى أن أصبح منفذ الانتقام بالنسبة إليك

إذا أردت أن أربط تيامات وأعطيك الحياة

أرجوك عندها أن تعقد اجتماعاً للآلهة

واجعل مصائري المتفوقة على الجميع وأعلن ذلك

واجلس مع أعضاء المجمع الإلهي وكُن مسروراً

ودع كل ما أقوله في فمي مثبتاً لمصائر الناس كما هو الحال معك

وعندها انعقدت مجموعة الآلهة ومنحت لمردوخ القوة المتفوقة التي طلبها.

لقد نصبوا له عرشاً عظيماً

يجلس عليه أمام آبائه العظام

إنه أنت يا مردوخ المبجل بين الآلهة العظام

وإن مقامك لا ينافس وإن أقوالك تشبه أقوال آنو

أيها المردوخ أنت المحترم بين جميع الآلهة العظام

ولقد نصّبناك ملكاً على الجميع.

وفي نهاية اللوح السادس من ألواح إينوما إيليش واللوح السابع والأخير. أعلن الآلهة الأسماء الخمسين التي أطلقت على مردوخ المنتصر فقد كان ابن إله الشمس، مردوخ الإله الذي يخلق كل شيء وماروتوكو Marutuku الحامي لأراضيه ولشعبه. وأسارو الذي يهب الأراضي الخصبة والذي يخلق الذرة والنباتات والخضار وتاتو الذي ليس له شبيه بين الآلهة. إنه شازو الذي يعلم ما في القلوب ويرى ما في نفوس الآلهة وأدونونا مستشار أيا إله الحكمة وفي شكله المرئي كان هو نيبيرو Nebiru وهو الكوكب المشتري هذا وقد وضع أيا مردوخ في مرتبته.

لقد سمع وأصابه الحبور في قلبه

وقال: إنه هو الذي مجّدت أسماءه الآلهة

دعوه يصبح مثلي ودعوه يسمّى باسمي أيا

وأخيراً، فقد قرر مجمع الآلهة إلصاقه بإنليل وكان من أسمائه «إنليل الآلهة».

ولقد اعتبر إلصاق اسم مردوخ بالآلهة العظمى في مجمع الآلهة كدلالة على الميل للوحدانية ولكن استعمال كلمة الوحدانية في هذا المقام يبدو كبيراً جداً وقوياً جداً، بل من الأفضل استعمال الوحدانية المشوبة وليس الوحدانية الخالصة في هذا المقام. وليس من الضروري تأكيد الفرق ما بين هذا الاتجاه البابلي اللاهوتي وظهور الوحدانية في العبرانيين الذين اعتبروا أن الباليم كان مقبولاً ووجوده حاضراً واعتبروا أن الباليم مختلف عن يهوه (السيد) ليس في منزلته ورتبته فحسب، بل أيضاً بالنسبة لطبيعته الأساسية، وكان دمج الإله الأعظم مع بقية الآلهة كما هو الحال في بابل هو أحد النواحي التي كانت أنبياء بني العبرانيين ترفضها. وكسيد الجميع استلم مردوخ لقب بعل (السيد) تماماً كما كانت عشتار تدعى بيليت (السيدة) وقد ذكر تحت هذا اللقب في العهد القديم وفي كتاب بعل والتنين وأبو كرايفا.

وكانت قرينة مردوخ هي ساربانيتوم Sarpanitum (الواحدة اللامعة) ولم يكن لها أهمية مستقلة مع أنها كانت تدعى خالقة البذور وهكذا فقد دمجت مع الآلهة الخالصة أرورو Aruru.

وكان نابو الإله المرافق لمردوخ وهو إله بورسيبا وهو الذي أشار العهد القديم إلى علاقته مع إله بابل وكان نابو هو ابن مردوخ ولقد اقترح أنه ونظراً لأن مردوخ قد حلَّ محل إنليل في مجمع الآلهة في المقام العالي والسيادة وكما أن إنليل قد دفع بالإله آنو إلى الخلف في فترة أقدم وهكذا وعندما اختفت الحضارة البابلية أخيراً بسبب المنافسة والأفكار الجديدة في بلاد العجم وبلاد اليونان وفلسطين لذلك فقد أصبح نابو على وشك إزاحة مردوخ والحلول محله.

وبالإضافة إلى علاقته المباشرة مع مردوخ، فقد لعب نابو دور الحامي لفنون الكتبة وأصبح إله الحكمة شأنه شأن أيا ومردوخ، وقد حملت قرينته اسم تاشميتوم Tashmetum وهذا يعني قوة السمع وهذا يعني أنها كانت مستعدة لسماع الصلوات والأدعية.

أما في آشور كما في بابل فقد حدث بعض الارتفاع والسمو للإله الوطني وهو آشور وقد كانت الأرض والعاصمة والإله تحمل نفس الاسم (آشور) ولا يعلم أي اسم من هذه الأسماء الثلاثة كان هو الأسبق.

وفي نسخة من إينوما إيليش وجدت في مدينة آشور ظهر أن النص البابلي قد استعمل بحذافيره عدا عن أن الاسم آشور قد استعمل بدلاً من مردوخ. وفي فترة حكم سرجون ظهر اسم آشور كأساس للآلهة الأصلية الهامة.

وفي مدينة آشور التي كانت مركز الطقوس للإله آشور عاش الإله في معبد يدعى إي – شاسدا وكانت قرينته نيبيل.

وفي النقوش الآشورية التاريخية ودون استثناء كان آشور محتفظاً بقصب السبق دون منازع وقد سبق آنو وإنليل وأيا. وهناك مثال شهير واحد في رسالة كتبها سرجون الثاني إلى الآلهة وهو يقدم تفاصيل عن حملته الناجمة ضد أورارتو وحلفائها

عام ٧١٤ق.م وفيما يلي جزء منها ، حيث يظهر أن آشور كان ذا المقام الأفضل وقد مُثل آشور في الفنون وهو شأن شمش وإنليل يحمل العصا والخاتم ويحمل في يده اليمنى السلاح المعوج الذي وصفه اليونانيون باسم هاربي. وهو يقف فوق حيوانين أسطوريين وهما التنين والأسد ذو القرون وشأنه شأن مردوخ فقد اتخذ آشور كثيراً من الخصائص التي كان قد اتخذها رؤساء مجمع الآلهة وكان له مظهر شمسي كمردوخ.

وكانت قرينة آشور هي آلهة المخلوقات وتحمل اسم شيروا ولكن وفي فترة متأخرة أصبحت قرينة آشور هي نيبيل.

وهناك إله آخر له أهميته ومن الممكن اعتباره إلهاً وطنياً وهو الإله دانون وكان ذا أهمية غريبة مع أنها لم تكن متفوقة في مملكة ماري وكان معروفاً في بابل بأسماء شخصية تظهر كشاهد على الهجوم السامي الغربي أثناء فترة إيسين – لارسا ولقد ورد اسم داغون في آشور في نفس الفترة وقد قابلنا هذا الإله في الأساطير الأوغاريتية باسم والد بعل وقد وجدت هذه الأساطير في رأس شمرا على الساحل السوري وهي تمثل الأدب الكنعاني الديني القديم.

وتظهر إحدى الرسائل من ماري الأسلوب الذي تدخّل فيه داغون في الشؤون السياسية في مملكة ماري، فقد حلم رجل حلماً وجدوه أنه ذو أهمية كافية ليخبروا عنه الملك زمري – ليم فقد رأى الحاكم أنه كان يقوم برحلة وفي أثنائها دخل إلى المعبد داغون وسجد أمام الإله وقد سأله الإله فيما إذا كان عُقد الصلح ما بين زمري – ليم وشيوخ القبائل المزعجة وهي قبائل بنيامينا وقد أخبروه أن هذا الصلح لم يعقد معه ولكن داغون لم يفاجأ بهذا الخبر وعلق على ذلك بما يلي:

لماذا لا يأتي رسل زمري – ليم ويقدموا أنفسهم لي ويرسل تقاريره لي؟ أو هل تم ذلك؟ وقد كنت أرغب من زمن طويل بتسلم شيوخ قبائل بنيامينا إلى زمري – ليم.

ولقد شعر هذا الرجل الحاكم أنه عليه أن يذيع هذا الخبر وهكذا فعل وقد كانت هذه القصة تدل على الحالة الوطنية لداغون وقدرته على إحراز النصر.

خدمات الآلهة

لقد استلم الآلهة من المواطنين الإيجارات والخدمات المستحقة للآلهة ولم تكن خدمة الآلهة شيئاً زائداً عن الحد فقد كان البشر مخلوقين لإعفاء الآلهة من الأعمال الشاقة. ولكي يحصل هؤلاء على حقوقهم فضلاً عن تقديم القوة والعون للشعب كان من الضروري أن يُعيّن الآلهة ممثلين من البشر في أراضيهم. وكان ممثل الآلهة يدعى (إين) وكان هذا كاهناً ملكياً، وكان رمز الخصوبة هو الغصن الذهبي وكان هؤلاء الكهنة الملوك يصادفون ميتة احتفالية وكانت القبور الملكية في أور تحتوي على جثث هذه الضحايا. وكان الإين يعين في المعبد في حجرة تدعى غيبارو ويمثل جلجامش مثالاً مرموقاً لهذه الشخصية. وفي فترة مبكرة من فترات المجتمع السومري حدث تطور تحرّك بموجبه الأين En من المعبد وذهب إلى قصر منفصل ونتيجة لذلك حصل تقسيم للوظائف والمسؤوليات فقد أصبح الحاكم الزمني هو الأنسي بينما في داخل المعبد كان أحد الكهنة يقوم بأداء الحاجات اليومية الخاصة بالإله. وفيما بعد وبعد أن تآلفت عدة دول مدينية في وحدة سياسية واحدة أصبح الأنسي في المدينة المتفوقة اللوغال Lugal أو الملك وخلال التاريخ الآشوري والبابلي جميعه ظل الأنسي أو ا للوغال الممثل المباشر للإله وكان مسؤولاً عن تأمين خصب الأراضي وذلك عن طريق الاشتراك في الطقوس في السنة الجديدة. وفي أثناء ذلك تطوّرت في المعابد إدارة كهنوتية مرموقة ولقد غطى مجال أنشطة هذه الإدارة الكهنوتية المجالات الاقتصادية والدينية.

وهناك اسم استخدم ويعود إلى الأزمنة البابلية للدلالة على هؤلاء الكهنة الذين قُبلوا في جميع أنحاء المعبد وهو إيريب – بيتي وكان هذا الاسم يعني أحياناً جميع الأحوال الكهنوتية في المعبد مع أنه وخلال الأزمنة البابلية الحديثة أصبح يعني الكهنة الذين كانت مراتبهم أقل وأخفض من المراتب العليا. ويظهر أن كهنة الإيريب – بيتي قد نفذوا المسؤوليات الاحتفالية العادية بالنسبة للأضحيات المنتظمة للآلهة ولمساعدة الموظفين الآخرين في أنوع خاصة من الاحتفالات حسب ما يلي:

الأريبو – بيتي الريس يقود حملة المشاعل الآتين من الزقورات ومعهم كهنة الماشماشر وكانوا هم الراقين والمنشدين.

أو يذهب الملك ومعه الأريبو – بيتي إلى قدس الأقداس ويملأ الأريبو - بيتي حوض الماء لكي تغسل الآلهة عشتار يديها.

وكان الماشماشو والأشيبو طبقتين من الكهنة يهتمان بالأدعية والابتهالات.

وكان عدد كبير من الطقوس والابتهالات المذكورة أعلاه يتم عن طريق الماشماشو ولكن ليس في المعبد بل في منزل الرجل المصاب ولكن كان للماشماشو بعض الأعمال والوظائف الواجب القيام بها عند تسيير شؤون المعبد وكان هو المسؤول عن إتمام طقوس التنقية أو التنظيف في المعبد وكان الكالو من الراقين المشعوذين وكان جزء من عمله يقتضي تهدئة قلوب الآلهة عن طريق الموسيقى وهناك نص من نصوص الطقوس يقدم تقارير مفصلة عن تحضير الطبل المقدس الذي يستخدمه هذا النوع من الكهنة.

وكان النارو Naru هو المنشد وكان هناك منشدات ومنشدون، وقد كان هؤلاء مرتبطين بالكالو وكانت الطبقتان تشتركان في إنشاد قصائد الرثاء.

وفي طقوس المعبد كان الموجه الرئيسي هو الشيشاغالو وهو الذي كان يوجه المرتلين في أعياد رأس السنة في بابل وكان موزع شارات السلطة والشرف. وكانت الضحايا تذبح عن طريق الكهنة الذين يدعون الشائقو وهناك طبقتان من الموظفين المستخدمين لتأدية بعض المظاهر العملية في طقوس المعبد ويدعون ماري – أون ماني (الحرفيون) وناتش – باتري (حاملو السيوف) وكان الأولون يعالجون بعض الوظائف مثل تحضير الصور المطلوبة في الطقوس أما الآخرون فكانت أعمالهم مخصصة بذبح الحيوانات الضحايا والوظائف الطقوسية الأخرى مثل قطع رؤوس بعض التماثيل.

كان هناك طبقات أخرى من الكهنة الذين كانوا مُختصين بغسل وتزييت الطقوس وكانت طقوس الغسل تحدث في أحد أجزاء المعبد أو القصر ويدعى بيت – يميكي (بيت الغسل).

وكان هناك علم تفسير النبوءات وهو يتطلب وجود بعض التقنيات وهؤلاء يدعون كهنة البارو وكان لهم نفوذ ملحوظ في شؤون الدولة فقد كانوا مختصين لتفسير الإشارات عندما كان الملك يعرض بعض مشاكل الدولة أمامهم وغالباً ما كان البارو المتنبّئ يستعمل الشؤون المحلية. وكان البارو يرافق الجيش ويكتسب الاحترام خصوصاً عندما تصبح تنبؤاته صائبة وصحية. وكان هؤلاء يستعملون التعليقات التي كانت تُرتب بشكل اصطلاحات تقنية بما يختص بأعضاء الجسم وخصوصاً الكبد والأعضاء المختصة بحيوانات الذبائح وكانت الذبيحة الأولى تتبعها الثانية وتفحص وفي حالات خاصة تتبعها الثالثة ويبدو أن النظرية الأساسية كانت أن يُخبر الإله بالمشكلة قبل الذبح وبعدها يكتب الإله الجواب في جسم الضحية الثانية أو الثالثة.

وكان هناك كهنة الشايلو Shailu الذين كانوا يُذكرون بجانب كهنة البارو وهم مختصون بتفسير النبوءات مع أن الفئة الثانية كانت أعلى مقاماً من الفئة الأولى، وقد كان هناك فئات مؤنثة من الشايلو، وكانت الشايلو المؤنثات هُن اللواتي يعبّرن عن إرادة الإله، وكان الشايلو بمعزل عن الدين الرسمي المتركز في المعبد. ويوصف كاهن الشايلو في أحد الأناشيد أنه هو الذي يفسر الأحلام ويبدو أن هذا كان عمله الرئيسي مع أن نظيراته من الكاهنات المؤنثات لم يتخصصن في مثل هذه التفسيرات وكان الشايلو يعزو تفسير الحلم إلى الإله الذي أرسل الحلم، وأحياناً كان التفسير يتم عن طريق ملاحظة دخان البخور المحترق.

وهناك فئات من الموظفين الذكور متواجدون في المعبد وهم الكورغارو والأسينو وهم من المخصيين الذين يمثلون بثياب الإناث في تمثيليات طقوسية وهناك نص يشير إلى ذلك.

الكورغارو أو الأسينو فقد بدّلت عشتار قواهم الجنسية إلى القوى الأنثوية وذلك لكي يلبسوا القناع أمام الشعب.

وكانت كلا الفئتين تحملان بعض الأسلحة أو الأدوات وهي شاراتهم المميزة ويقال إن هؤلاء الذين حرموا من الجنس لاحتواء إحدى لعنات إيديش كيغال فقد حرَّمت ملكة العالم السفلي دخول أي شخص سواء الذكور أو الإناث لإنقاذ سجينتها عشتار من العالم السفلي ولكن الإله الذكي أيا احتال على هذه اللعنة بأن خلق كائنات خالية من الجنس وبهذا أنقذ عشتار.

وبالإضافة إلى الفئات المذكورة كان هناك عدد من الكاهنات القائمات بأعمال القداس وكان بعضهن يدعين كاهنات والأخريات عاهرات المعبد وفي مقدمتهن كانت الإينتو أي الكاهنة العالية أو زوجة الإله أو السيدة التي تقوم مقام الإله. وكانت الإينتو من مرتبة عالية. وكان بعض الملوك يَصنَعْن من بناتهم إينتو الإله وذلك كما فعل نيبو – نا – إيد بابنته في معبد إله القمر في أور. وفي الفترات الأولى كانت الأينتو هي نظيرة الإين En في الزواج المقدس الذي كان خصب البلاد معتمداً عليه وفي هذه الحالة تصبح الإينتو هي حقيقة زوجة الإله. وهذا هو أساس الخبر الذي ذكره هيرودوتس وهو أنه هناك في الطبقة الثامنة من المعبد المدرج (الزاقورة) في بابل:

هناك في المعبد العظيم وفيه مقعد كبير ... ولا يجوز أن يقضي الليل فيه ما عدا امرأة آشورية يختارها الإله بنفسه، أو كما يقول الكلدانيون الذين كانوا كهنة بعل وهم يقولون إن الإله نفسه يأتي إلى المعبد ويستريح على المقعد الكبير. ويخبر المصريون قصة مشابهة حول طيبة في مصر وكلا الفئتين من النساء المذكورات قد حُرِّم عليهن الاتصال جنسياً بالرجال.

وكانت الإينتو تعيش في جزء من المعبد يدعى الجيبارو Giparu وهو نفس اسم مسكن العين En من الواضح من عدة نصوص للتنبؤات التي تتنبأ بحلول المصائب إذا حصل اتصال جنسي ما بين رجل وواحدة من الأينتو وكما يقول

هيرودوتس إن هذه النسوة كان من المنتظر أن يعشْنَ في حالة من الطهارة. وحسب شرائع حمورابي كانت الإينتو تستطيع الزواج مع أن الافتراض العام كان يقضي بأن يتبنّى أي ولد تنجبه هذه المرأة وهذا يدل أن من الواجب أن تظل عذراء حتى بعد وصولها إلى عمر الإنجاب عندما تتقاعد من خدمة الإله شأنها شأن عذراوات فيستا في روما بعد سن الثلاثين. ولقد اقترح أن مثل هؤلاء النسوة كُنَّ معقمات (أو كُنَّ يلجأن إلى الإجهاض وكان هذا ذنباً يعاقب عليه) وكانت والدة سرجون ملك أغادي امرأة من هذا النوع اللواتي كُنَّ يتصرَّفن بالأطفال غير المرغوب بهم بتركهم في العراء.

وقد ذكرت هذه الإينتو في كثير من المدن القديمة (أور، إيريش، لارسا الأغنيش، إيسين، سيبار، نيبور، كيسة وآشور).

وهناك فئة ثانية من نساء المعبد يشبهن الاينتو ولكنهن من مرتبة أقل شأناً وهُنَّ الناديتو Naditu وهن مثل الإينتو أي من الممكن أن يتخذن زوجاً ولكن القوانين البابلية لا تصوّرها إلا بأنها منجبة للأطفال. وكان كثير من هؤلاء النسوة (مع أنه ليس الجميع) يعشن في منطقة تدعى الغاغو (الدير) وهي مجموعة من الأبنية التي لها دارتها الخاصة وأراضيها. جزء من معرفتنا عنهن قد أتى من شرائع حمورابي، ولقد قيل إن تكرر ذكر هذه القوانين لفئات نساء المعبد إنما يدل على أنهن كنَّ يواجهْن خطر صيرورتهن فئة مكروهة منحطة عمل حمورابي على إنصافها.

وهناك فئة من النساء ذكرن في العهد القديم من التوراة وهن الكاديشو أي العاهرات ويقابلهن في الذكور اللواطيون وقد وجدت هؤلاء النساء في إحدى الفترات بين طقوس المعبد. وهناك سبب قوي للافتراض أن هؤلاء الكاديشو كُنّ مخصصات للدعارة الطقوسية. وهناك عقد زواج آشوري قديم يذكر أن الرجل ذا العلاقة سوف لا يتزوج أية امرأة أخرى في البلاد ولكن من الممكن أن يمارس الجنس مع إحدى الكاديشو في المدينة (أي مدينة آشور) ويذكر هيرودوتس في القرن الخامس ق.م فقرة كُثر اقتباسها وهي كما يلي:

ينبغي على كل امرأة ولو مرة في حياتها أن تذهب وتجلس في معبد أفروديت وهناك تتصل جنسياً بأحد الغرباء وكان معظمهن يجلسن في المعبد ويلبسن شريطة من الحبل المجدول فوق رؤوسهن، وكانت هناك ممرات خلال جماعات النسوة يمرّ الرجال خلالها لاختيار المرأة التي تروق له. ولا يجوز أن تغادر المرأة مكانها حتى يأتي رجل غريب ويرمي قطعة من الفضة في حضنها ثم يأخذها خارج المعبد ويمارس معها الجنس وينبغي للرجل حالما يرمي قطعة العملة أن يقول «باسم الإلهة مايلنا» وعادة تكون قطعة النقود صغيرة جداً ولكنها تفي بالغرض ولا يجوز رفضها وتعتبر هذه النقود مقدسة، ولا يجوز أن تكون المرأة مترددة بل ينبغي أن تذهب مع أول رجل يُلقي عليها قطعة العملة وبعد أن تُسلّم نفسها فقد أتمّت واجبها بالنسبة للآلهة وعندها يمكنها الرجوع إلى منزلها. واعتباراً من ذلك الزمن لا يجوز لأي رجل أن يغويها للزنا مهما دفع من نقود كثيرة من أجل هذا الغرض.

الأضحيات المقدسة للإله

يظهر من الأختام الأسطوانية القديمة بعض المتعبدين يقدّمون الأضحيات بشكل ماعز إلى الإله وهذا يفسر المفهوم الذي مفاده أن أهم تقدمة يقدمها المتعبدون للإله هي الطعام والشراب والزيت ونجد هذه الطلبات في ألواح الحسابات التي تحتوي على أسماء الأشياء المقدسة

٥ غا من أفضل الزيوت من ماري وذلك لدهن عرش شماش

نصف غا من أفضل الزيوت من ماري للإله نيرغال.

وكان الآلهة يتمتعون بوجبات طعام منتظمة اثنتين أو في بعض الأماكن أربع وجبات يومياً وكانت الوجبات الدسمة والخفيفة توضع أمام الآلهة صباحاً ومساءً على موائد أمام تماثيل الآلهة، ولقد كرّس ريموس ملك أغادي في الألف الثالث الخبز والبيرة لأجل مائدة شمش، وتقدم لنا إحدى النصوص من العهد السلوقي بعض التفاصيل حول المؤن التي كانت تقدّم لآلهة إيريش بمقادير كبيرة من الخبز (مصنوع من الطحين المؤلف من ثلاثة أجزاء من الشعير والباقي من القمح) وخمسين

خروفاً وثورين مع عجل وثماني نعاج وأربع وخمسين حاوية من البيرة ومن مختلف أنواع الخمور وهذا يذكرنا بتفاصيل قصة بعل والتنين وهي كما يلي:

كان للبابليين صنم يدعى بعل وكانوا ينفقون له كل يوم ثلاثة مقادير من الطحين الناعم وخمسين خروفاً وستة مكاييل من الخمر.

ومن بين الأطعمة الأخرى المخصصة للوجبات الإلهية كان العسل والسميد والزيت الصافي والحليب والتمور والتين، والملح والكعك والطيور الداجنة والسمك والخضروات والفواكه الذهبية وربما بعض أنواع الحمضيات وكانت بعض الحيوانات وأطعمة أخرى محرَّمة على الآلهة، وهكذا فقد كان ممنوعاً تقديم لحم الغنم لبعض الآلهة أو لحم البقر لإله ثانٍ أو لحم الطيور لإله ثالث.

كان طعام الإله عبارة عن وليمة يدعى إليها بقية الآلهة وكان المتعبدون من البشر وحتى الأموات يحضرونها وكانت الآلهة تستلم هذه الأطعمة وبعد استهلاكها يُسلم الباقي إلى الملك والكهنة وهيئة موظفي المعبد.

وكانت التقاديم المنتظمة المقدمة للإله تدعى ساتوكو أو جينو. بينما كان الغوكو نوعاً من التقاديم الشهرية وكان هناك تمييز ما بين الأضحية من الخضروات والأضاحي الحيوانية، وكانت الأخيرة تشمل كثيراً من الطقوس والولائم التي كانت الأغنام والماعز أو المواشي تُذبح وكما كان الحال في العبرانيين كانوا يصبُّون الدماء. وكان اختيار الضحية التي هي غالباً من الغنم يجري بكل دقة. وكان يحدد عمر الماشية ولونها أو عذريتها وفيما إذا كانت تتغذى بالحشائش أم بالذرة وهلمّ جرا. وكانت رقاب الحيوانات تقطع بواسطة ناس باتري (أي حامل السيف) الذي كان يتلو بعض الأدعية أثناء عمله بينما كان الدم المتدفق عبارة عن دعاء بذاته وكان الرأس المقطوع يوضع بجانب مبخرة البخور وكان يرشُّ عليه الماء المقدس مع تلاوة أدعية أخرى وكانت الذبائح تذبح على مذبح خاص أو على سطح المعبد من قبل كاهن يدعى الشانغو.

هناك مصادر تعدد الأنواع المختلفة من الأضاحي مثلاً واحدة تدعى نيكو الملك ونيكو المتعبدين وجينو الأضاحي لأجل إيش شيشو وأضاحي للبيت وكانت هناك أضاحي خاصة في أيام خاصة من الشهر تقترب من الأم القمر البدر والقمر الهلال أي أول الشهر واليوم الخامس عشر من الشهر حسب التقويم القمري (وإن يوم البدر يدعى سابان). ونحن نقرأ في الألواح المسمارية عن اللحم الذي يقدم على مائدة بعل في يوم أعياد إيشيشو وكذلك يذكرون أنواعاً مختلفة من الكعك المقدم في ثلاثة أعياد.

وهناك مظهر آخر من مظاهر الطقوس وهو الإراقة التي ذكرت سابقاً وهي متميزة عن المشروبات المقدمة للآلهة في أوقات وجبات الطعام وكانت الإراقة تصب للآلهة منذ زمن السومريين الأوائل بشكل ماء أو بيرة أو خمر أو زيت أو دم الضحية الحيوانية. وكانت الإراقة في منطقة ما بين النهرين إما في وعاء أو على الأرض أو على الحيوان وليس من الواضح معرفة ذلك وهناك إفريز آشوري شهير يمثل آشور بانيبال بعيد الإراقة على الأُسود التي قتلها أثناء الصيد، وفي أقدم الأزمنة كان مقدم الإراقة أحياناً يبدو عارياً وهذا يذكرنا أن حالة التعري لدى السومريين كانت معروفة عند حدوث طقوس الإراقة. وكان حرق البخور من المظاهر الشائعة في طقوس المعابد وكذلك إشعال الأخشاب ذات الرائحة الزكية التي كانت إما طقساً من طقوس الطهارة أو خدمة للإله نظراً لأن الآلهة كانت تبتهج من الروائح الزكية. ويذكر هيرودوتس أن حوالي طونين ونصف من البخور كانت تحرق سنوياً في معبد بعل في بابل ولكن ليس لدينا ما يؤكد ذلك في مصادر الكتابة المسمارية.

أبنية المعابد

لقد خلق الإنسان لخدمة الآلهة وكانت الآلهة نفسها هي التي تصف الطقوس والاحتفالات والخدمات التي تُطلب من الإنسان، وكانت معظم هذه الطقوس تتم داخل مباني المعابد. هذا وقد عمد الجيولوجيون إلى تقصي أحوال المعابد وفحصها منذ أوائل تشييدها وقد أظهروا أن المعابد الأصلية كانت عبارة عن مزارات

متواضعة، وكانت هذه المباني تحتل عدة فدادين وكانت تشمل مباني من عدة أصناف، وكانت الظاهرة الرئيسية في المعبد هي الزقورة وهي البرج ذو الأدراج ذات الثلاث أو سبع دورات والتي كانت تشرف على المدينة، وكان حجم الزقورة مختلفاً من مدينة إلى مدينة ولكن المسافة المخصصة لقاعدة الزقورة تبلغ مئة ياردة وكان علو البناء يبلغ خمسين ياردة وفي أعلى الزقورة كان هناك معبد يدعى المعبد العالي وكان هذا المعبد مغطى بالقرميد، وهناك اختلاف حول الوظيفة الدينية لهذه الأبراج. ولكن نقول بالتأكيد أنها لم تكن مراصد فلكية ولم تكن قبوراً للملوك ولم تكن موازية للأهرامات في مصر.

لا يمكننا رفض الفكرة التي تقول إن الزقورة كانت تمثل الجبل الكوني ليس كقبر ملك بل كتمثال لإله يحتضر. وهناك شواهد مادية فعلية قد استنتجت لتأييد هذه النظرية وقد اقترح أن كلمة جيغونو تشير إلى نوع من الغرف الموجودة تحت الأرض، ولكن لم يثبت ذلك وبدت غير محتملة. وإن هناك آراء تدحض كون الزقورات قبوراً للآلهة المحتضرة نظراً لأنه لم يكن هناك آلهة قد ماتوا وبعثوا بعد ذلك ولم يعرف عن حالات من هذا النوع حتى في حالة مردوخ وتموز وهما الإلهان اللذان قد اتصفا بمثل هذه الصفات دون شك.

ولقد اعتبر بعض العلماء أن الزقورات كانت نوعاً من عرش الإله وقد اعتبرت الزقورات أيضاً كمذبح كبير.

إن خط التفاسير بالنسبة للزقورات المقبول بصفة عامة ينحصر بنظرية أندريه Andrae مع أن بعض العلماء قدم على تعديل هذه النظرية في عدة نواحٍ وقد أشار أندريه أن هناك معبدين لاحقين للزقورة أحدهما واقع على قمتها والآخر واقع في أسفلها. وكان المعبد العالي مكان سكن الإله الذي كان ينزل في أوقات مناسبة إلى المعبد السفلي. وقد قال النقاد لهذه النظرية إنها مؤسسة على اعتبارات أثرية ولا تتفق مع النصوص التي تذكر أن المعبد السفلي هو مكان سكن الإله. ولهذا فقد عمد بعض العلماء إلى تعديل النظرية بقولهم إن المعبد العالي كان مكان استراحة مؤقت للإله وهو في طريقه من السماء إلى المعبد السفلي وهكذا اعتبروا الأدراج

الموجودة في الزقورة واسطة للحصول على الارتفاع المناسب للاتصال ما بين السماء والأرض وكانت الملائكة تستعمل هذه الأدراج أيضاً في الصعود والهبوط. يرى سير هـ. لينزن H. Lenzin وهو أحد الثقات المشهورين بالنسبة للزقورات أن هناك بعض الصعوبات التي تحول دون قبول نظرية أندريه حول أصول الزقورات نظراً لأنه في أوائل مراحل الحضارة في منطقة ما بين النهرين كان هناك معبد عالٍ ولم يكن هناك معبد منخفض. ويؤكد لينزن أن المعبد العالي لم يكن مجرد مكان لاستراحة الإله بل إنه كان مكاناً لممارسة بعض الطقوس الفعلية وبهذا تصبح الزقورة مذبحاً هائلاً وفي داخل المعبد وقرب أسفل الزقورة كان هناك مقدس الإله الأكبر مع وجود عدد من الكنائس الصغيرة المقدسة بالنسبة لبعض الآلهة المرافقين بينما كان هناك ساحة كبيرة خارج هذه المزارات الكبيرة، حيث تجمع السكان في زمن الأعياد، وكان هناك بعض الغرف لاستيعاب الأدوات المستعملة في الطقوس (مثل الملابس، والأدوات الموسيقية، والعربات) وكان هناك مكتبة المعبد التي وجدت في معبد نابو وهو إله الفنون المختصة بالكتبة، وكان هناك مراكز خاصة للكهنة والكاهنات، وكانت هؤلاء الكاهنات يعشن في منطقة تدعى غاغو Gago وهي منطقة الدعارة الطقوسية وكان هناك ورشات للحرفيين وكانت أبنية المعبد تحتوي رصيف الميناء وأهراء الحبوب اللازمة لخزن منتوجات المعبد وأراضيه والبضائع اللازمة للتجارة.

وكان الإله نفسه الذي كان متمثلاً بتمثاله أو رموزه يقف في الحجرة الطويلة التي كانت النقطة الرئيسية في المعبد وكان التمثال يتوضع على قاعدة موجودة في كوة أو مشكاة في الحائط خلف ستارة وذلك لحفظه من العيون الشريرة. وكان المدخل الرئيسي لهذا المقدس واقع في الجانب القصير المقابل لتمثال الإله في النهاية البعيدة أو في الجانب الطويل حيث لا يصل مدى البصر من خلال المدخل المفتوح إلى تمثال الإله، ويعود الفرق إلى مواقف مختلفة لتعرض الإله إلى مشاهدة الجمهور. وفي مملكة ماري كان باستطاعة المسافر المار خلال المدينة أن يدخل

المعبد دون صعوبة وجَلَبَة ليقوم بالصلاة للإله ولكن ليس هناك من شاهد أن مثل هذا الوصول إلى الإله كان متوفراً في بابل أو آشور.

كان تمثال الإله منحوتاً من الخشب ومزيَّناً بالمعادن والأحجار الكريمة وبالنسبة للبابليين كان هناك نقاط محددة تخص صناعة تمثال الإله وكان هناك بعض الطقوس المختصة بفتح الفم. وقد كان هناك إناءان مملوءان بالماء المقدس وموجودان في ورشة العمل تختصان بغسل الفم بالنسبة للتمثال المصنوع وبعد ذلك يبدأ الكهنة بتلاوة الأدعية وكان أحدها يُعلن للإله ما يلي: من الآن فصاعداً فإنك سوف تمشي أمام والدك أيا. وبعد ذلك كانوا ينقلون الإله ليلاً تحت أضواء المشاعل إلى ضفة النهر ويضعونه على حصيرة من القصب مواجهة للشرق وبعدها تقدم الأضحيات والأدعية وكانت تتلى الصلوات ويكرر غسل الفم وبعد ذلك كان الإله يوجه ناحية الغرب وتقدم له ضحايا وأدعية جديدة وغسل للفم جديد. وفي الصباح وبعد تقديم ضحايا وأدعية جديدة، كانوا يذبحون تيساً من الماعز وبعدها يبدؤون بتلاوة الدعاء التالي: «إلى التمثال المقدس الذي لا يتم تعديه إلا بعد أداء الطقوس العظيمة»، وبعد ذلك كان الكاهن يفتح عيني الإله وذلك بلمس عينيه بغصن من شجيرة الطرفاء السحرية، وبعد ذلك كانوا يقودون الإله بعد الإمساك بيديه. إلى الشارع وبعدها إلى المعبد وبعد تقديم الأضحية على بوابة المعبد كانوا يقودون الإله إلى مزاره، ويوضع على العرش. وبعد غسل الفم أربع عشرة مرة كانت شارات الألوهية توضع فوق رأس الإله ليلاً.

وفي داخل المعابد ومنذ عهد السومريين كان الآلهة يتمتعون بصحبة رجالهم المقربين وبصحبة تماثيل المتعبدين، وهكذا كانوا يضعون تمثالاً يمثل الملك وهو يتوسل إلى الإله، وتذكر النصوص بصراحة أن مثل هذا التمثال كان يخدم الفكرة التي مفادها أنه ينبغي على الملك أن يقوم بالصلاة أمام الإله.

ولم يكن وجود الآلهة منحصراً بالمعبد ففي بعض الأعياد الخاصة كانت الآلهة تظهر وهي محمولة على أكتاف الكهنة ومزيّنة بأفضل زينة لتظهر أمام المتعبدين وكانت تصدر أحياناً بعض الإشارات العرضية من الإله في بعض المناسبات كأن

يقوم الإله بحركة إيمائية من رأسه لأحد المتعبدين مما يكون له وقع خاص في نفوسهم، وربما كان الإله يقوم بزيارات احتفالية لبعض الآلهة الآخرين في بعض المناسبات أو الاحتفالات الدينية وهكذا كان نابو إله بورسيبا Porsipa يقوم بانتظام بزيارة مردوخ العظيم في عيد رأس السنة في بابل.